المبحث الأول

الإمام الأول أبو بكر الصديق
من النبوة إلى الخلافة

● حركة الردة

تثير خلافة أبى بكر الصديق خلافات عميقة بين أهل السُّنة والشيعة الإمامية. ومن المفيد لدراستنا هذه أن نقف على الظروف السياسية التى سادت قبيل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وآله وتفاقمت بُعَيْد وفاته .

وعنوان تلك الظروف هو ـ أساساً ـ حركة الردة ، وقد شهدت السَّنة الأخيرة من حياة النبى ﷺ ـ وهى السنة العاشرة للهجرة ـ ظهور مُسيلمة بن حبيب الكذاب فى بلاد اليمامة وادعاءه النبوة وقد أخذ يهذى بكلام مسجوع ادعى أنه قد أُوحِىَ إليه ، وكتب رسالة إلى النبى يخبره فيها أن الله قد أشركه معه فى النبوة ! (١) .

ووثب الأسود العنْسىّ باليمن . ووثب طُلَيحة فى بلاد أسد . وادَّعت النبوة امرأة تدعى سُجاح بنت الحارث فى بنى تغلب . (٢) وفى عُمان ادعى النبوة رجل يُدعى « ذا التاج لقيط بن مالك الأزدى » .وارتد كثير من قومه وتابعوه ، وهاجموا عاملىْ النبى وطردوهما إلى الجبال !

وتصوِّر أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ذلك الانهيار المخيف ـ وهى أقرب ما تكون من مصادر الأخبار ـ فتقول :« لما تُوُفِّى رسولُ الله ﷺ ارتدّت العرب ، واشرأبَّت اليهودية والنصرانية . ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المُطِيرةِ فى

---

(١) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١٠ هـ ؛ الذهبى ؛ العبر ؛ جـ ١ ص ١٠ .
(٢) نفسه ؛ أخبار سنة ١٠ هـ

الليلة الشاتية لفقد نبيهم ، حتى جمعهم الله على أبى بكر» . وَهَمَّ أكثر أهل مكة بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك حتى خافهم عَتَّاب بن أسَيْد ـ والى مكة ـ فتوارى ! لكن سهيل بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ قام فى وجوههم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال إن رسول الله قد تُوفى ، لكن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة .

● يوم السقيفة

ونشب الخلاف بين المهاجرين والأنصار بُعَيْدَ وفاة النبى ﷺ ، فى سقيفة بنى ساعدة فى المدينة المنورة ، حيث اجتمع المسلمون لاختيار خليفة لرسول الله . ولم يُذكر شىء عن خلاف بين أهل السُّنة والشيعة فى ذلك اليوم لأنه لم تكن قد ظهرت الفرق بَعْدُ ، لا شيعة ولا سنة ولا غيرهما .

وكان زعماء الأنصار هم الذين بادروا إلى عقد ذلك الاجتماع ، ثم التفوا حول «سعد بن عبادة» الذى كان مريضاً لا يقدر على رفع صوته ، وتولَّى أحدُهم تبليغ ما يقول للحاضرين .

قال سعد رضى الله عنه : «يا معشر الأنصار ! إن لكم سابقة فى الدين وفضيلة فى الإسلام ليست لقبيلة من العرب . إن محمداً عليه السلام لبث بضع عشرة سنة فى قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن ، وخَلْع الأنداد والأوثان ، فما آمن به من قومه إلا رجال قليل ، وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا [١] رسول الله ، ولا أن يعزُّوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضَيْمًا عُمُّوا (ابتلوا) به حتى إذا أراد الله بكم الفضيلة ، ساق إليكم الكرامة ، وخصَّكم بالنعمة ، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والإعزار له ولدينه ، والجهاد لأعدائه . فكنتم أشد الناس على عدوه منكم ، وأثقله على عدوه من غيركم حتى استقامت العرب لأمر الله طوعًا وكرهًا ، وأعطى البعيد المقادة [٢] صاغراً داخراً ، حتى أثخن الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيافكم له العرب وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ ، وبكم قرير العين . استبدُّوا بهذا الأمر (أى تمسكوا به) فإنه لكم دون الناس!»[٣] .

---

(١) يعنى : يحموه . (٢) يعنى : يخضعون الناس له .
(٣) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١١-٣ / ٢١٨ .

بهذه العبارات الحماسية المؤثرة استأثر سعد بمشاعر الانصار وكانوا على وشك أن يبايعوه .

وطار خبر الاجتماع إلى المهاجرين نقله عُوَيْم بن ساعدة ومعن بن عدي إلى أبى بكر وأعلماه بما يجرى فى سقيفة بنى ساعدة . فأسرع أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدةُ بن الجراح إلى اللحاق بالاجتماع . وتكلم أبو بكر فقال : «أما بعد يا معشر الأنصار ! فإنكم لا تذكرون منكم فضلاً إلا أنتم له أهل . وإن العرب لا تعرف هذا الأمر - يعنى رئاسة الأمة - إلا لهذا الحي من قريش وهم أوسط العرب داراً ونَسبًا ، وقد رضيتُ لكم أحد هذيْن الرجليْن ، فبايعوا أيهما شئتم» . وأخذ بيد عمر من جهة وبيد أبى عبيدة من جهة أخرى .

وكان أبو بكر قد علم كما عَلِمَ المئات من الصحابة بقول النبى ﷺ : **«لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان»** (١) . وازدحمت السقيفة بالناس من المهاجرين والأنصار للمشاركة فى ذلك الشأن العظيم وَنَيل شرف شهوده .

ويقول عمر بن الخطاب : «فارتفعت الأصوات ، وكثر اللغط . فلما أَشفقْتُ الاختلاف ، قلت لأبى بكر : ابْسُط يدك أبايعْك ! فبسط يده فبايْعتُه ، وبايعه المهاجرون والأنصار»(٢)

ومن الجلىّ أن كلمات أبى بكر كانت مقنعة للحاضرين من المهاجرين والأنصار، وإلا لما أقبلوا على البيعة له . وقد استند إلى حقيقة مهمة وهى أن العرب لا ترضى بأن يترأسها أحد من غير قريش ، كما استند إلى الحديث السابق القائل إن إمامة الأمة يجب أن تظل فى قريش ، والحديث الأخر القائل : «الناس تبع لقريش»(٣) .

وقام الحباب بن المنذر الأنصارى رضى الله عنه ، فذكَّر المجتمعين بمكانته

---

(١) أخرجه مسلم ؛ باب الخلافة فى قريش ؛ جـ١٢ من ٢٠٠ .

(٢) تاريخ الطبرى ، أحداث سنة ١١هـ-٣/٢٠٦ ، الفتح الربانى - مبايعة أبى بكر - رقم ١٣٥ - جـ٢٣ ص ٥٨ .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ، جـ١٢ص ١٩٩ .

وشرفه فى قومه ثم قال:« يا معشر الأنصار ! املكوا عليكم أمركم ، فإن الناس فى فيئكم وفى ظلكم ، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ، ولن يصدُر الناس إلا عن رأيكم! أنتم أهل العزة والثروة وأولو العدد والمنْعة والتجربة ، ذَوو البأس والنجده ! وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون ! ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم ... فإن أَبَى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنهم أمير ! »

وسارع عمر إلى الرد عليه فقال :« هيهات ! لا يجتمع اثنان فى قرن (أى أنه لا يصلح نظام الأميريْن) والله لا تَرضَى العرب أن يُؤمِّروكم ونبيُّها من غيركم ! ولكن العرب لا تمتنع أن تُوَلِّى أمرها من كانت النبوة فيهم ، وَوَلِىَ أمورهم منهم ، ولنا بذلك عَلَى مَنْ أَبَى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ! » ثم تساءل عمر مستنكراً : « مَنْ ذَا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته ، إلاَّ مُدْلٍ بباطل أو متجانفٍ لإثم ومتورطٍ فى هلكة ؟! »

ويستند عمر هنا إلى المبدأ نفسه الذى استند إليه الصديق وهو : قبول الأمة ورضاها بمن يحكمها ، وهو بدهية سياسية لا يمكن إغفالها .

لكن « الحباب » عاد إلى الجدال مع التهديد والوعيد فقال : « يا معشر الأنصار! املكوا عليكم أمركم ، ولا تسمعوا مَقَالَةَ هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ! **فإن أَبَوْا عليكم ما سألتموه ، فأجْلُوهم عن هذه البلاد ، وتولَّوا عليهم هذه الأمور ، فَأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم** ، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين مَنْ دان ممن لم يكن يدين . أنا جُذَيْلُها المحَكَّك وعُذَيْقُهَا المُرَجَّب ! (١)

إلى هذا الحد ذهب « الحباب بن المنذر الأنصارى » : التهديد بطرد المهاجرين من المدينة !

وحاول أبوعبيدة رضى الله عنه تهدئة الموقف فقال « يا معشر الأنصار ! **إنكم أول من نَصَرَ وآزَر ، فلا تكونوا أول من بَدَّل وغَيَّر !** »

---

(١) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١١-٣ / ٢٢٠-٢٢١ ، والحباب يفخر بشجاعته وخبرته العسكرية والقتالية التى عرفها الجميع عنه .

ولكن الكلمة المؤثرة بحق جاءت من « بشير بن سعد الأنصارى » رضى الله عنه .

– قال بشير :« يا معشر الأنصار ! إنَّا والله لئن كُنَّا أُولِى فضيلة فى جهاد المشركين ، وسابقة فى هذا الدين ، وما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا . فلا ينبغى لنا أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبغى به من الدنيا عَرَضًا ! فإن الله وَلِىُّ المنَّة علينا بذلك . ألاَ إن محمداً ﷺ من قريش ، وقومه أحق به وأوْلى . وايمُ الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر أبداً ! فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم »(١) .

– هنا برزت الروح الإسلامية الحقيقية التى لا تعرف التحيز القبلى القديم وهنا ذَكَّر « بشير » الناس بأن الجهاد والعمل لا يجب أن يُتخذ ذريعة للفخر والتطاول على الناس أو وسيلة للفوز بشىء من أعراض الدنيا ، لأن ذلك كله فضل من الله تعالى ، وأيَّد « بشير » مبدأ « الإمامة فى قريش » كما قرر النبى ﷺ .

لكن « الحباب » فهم كلمة « بشير » خطأ فقال : يا بشير ! عقَّتْك عقاق ! ما أحوجك إلى ما صنعت ؟ أنَفِسْت عَلَى ابن عمك الإمارة ؟ »

– فرد « بشير » قائلاً « لا والله ، ولكنى كرهت أن أنازع قومًا أمراً جعله الله لهم » .

وقال « أُسَيْد بن حُضَيْر – زعيم الأوس وأحد كبار الأنصار – لقومه :« والله لَوْ وَلِيَتْها الخزرج (قبيلة سعد بن عبادة والحباب بن المنذر) عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً ، فقوموا فبايعوا أبابكر ! » فقاموا إليه فبايعوه .

وفى كلام أُسَيْد بن حُضَيْر تبدو بقية باقية من آثار التنافس القبلى القديم بين الأوس والخزرج قبل الإسلام .

وحسمت قبيلة « أسلم » الموقف حين أقبل رجالها بأعداد غفيرة فبايعوا أبا بكر الصديق بالخلافة .

---

(١) تاريخ الطبرى ، أحداث سنة ١١هـ ٣ / ٢٢١

وبعد ذلك جَرىَ جدال عنيف بين سعد بن عبادة وأبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وبشير بن سعد والحباب بن المنذر . ويقول خبر إن سعد ابن عبادة بايع أبا بكر ، ولكن أخباراً أخرى تنفى ذلك ، وهى الأرجح .[1]

– وهكذا كان يوم السقيفة يوماً للشورى السياسية ، تقابلت فيه الآراء وتضاربت المواقف ، وفى النهاية انتصرت المبادئ التى أرساها رسول الله ﷺ .

– لكن الشيرازى يرى أن تقديم أبى بكر على علىٍّ أو تقديم المفضول على الفاضل يوم السقيفة هو عمل : «**جماعة حملتهم الأغراض الدنيوية والسياسية على بيعة أبى بكر**.[2] وهذا الكلام هو الطعن القبيح الذى يشعل الكراهية والفتنة بين السُّنة والشيعة . وهو كلام قديم مضى على نشره حوالى سبعين عاماً ، لكن مطابع بيروت الشيعية تعيد إصداره هذه الأيام بأحدث الأجهزة وأثمن الورق!

ويزعم ناقد شيعى آخر أن أبا بكر وعمر وحزبهما اتفقوا سرًّا لسلب علىٍّ حقه فى خلافة النبى ، فأسرعا إلى السقيفة وعلىٌّ مشغول بتجهيز النبى ﷺ .

فهل كان من الصواب أن يقعد الشيخان ليختار الأنصار خليفة دون رأى المهاجرين ؟ وهل كان من الممكن تأجيل البت فى اختيار الخليفة عدة أيام ؟ وهل كان علىٌّ يفوز بتأييد المهاجرين والأنصار فى وجود أبى بكر وعمر؟ وهل يظن أحد غير غلاة الشيعة أن أبا بكر وعمر وحزبهما تآمروا لسلب علىٍّ حقه ؟[3]

إن أى باحث منصف لابد أن يقدِّر حكمة الشيخين يوم السقيفة .

ولو قَبِل الأنصار التأجيل ـ وهم لم يكونوا ليقبلوا ـ ورشح المهاجرون على بن أبى طالب ، ما كان من الممكن أن يَدَعُوا أبا بكر ويختاروا عليًّا . وعلى كل من يشك فى هذا أن يعيد قراءة السيرة النبوية ليتبيَّن أين يكون أبو بكر وأين يكون علىٌّ .

---

(١) تاريخ الطبرى ، أحداث سنة ١١هـ / ٢٢٢–٢٢٣ . (٢) ليالى بيشاور ؛ ص ٢٦٧ .
(٣) عبد الحسين شرف الدين ؛ النص والاجتهاد ؛ ص ٩٠ .

بَيْعَةُ العامَّة ودَسْتور الصِّدِّيق

وفى اليوم التالى ليوم السقيفة جلس أبو بكر على المنبر فى الحرم النبوى بالمدينة المنورة ، وتكلم عمر أولاً فقال للحاضرين .« أيها الناس ! إنِّى كنتُ قلت لكم بالأمس (فى اجتماع السقيفة) مقالةً ما كانت إلاَّ عن رأيى ، وما وجدتُها فى كتاب الله ، ولا كانت عهداً عهده إلىّ رسول الله ﷺ . ولكنى كنتُ أرى أن رسول الله سيدبِّر أمرنا حتى يكون آخرنا . وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى هَدَى به رسول الله ، فإن اعْتصَمتُم به هداكم الله لما كان هَدَاهُ له . إن الله قد جمع أمركم على خيركم ـ صاحب رسول الله وثانى اثنين إذْ هما فى الغار ـ فقوموا فبايعوا »(١)

وهذه الكلمات تمثل الأمانة والصدق فى أسمى صورة . فلم يكن ثمة سبب يحمل الرجل على قول ما قال . لكنه سياسى من مدرسة النبوة المحمدية فهو يخشى أن يظن ظانٌّ أن ما أعرب عنه من آراء فى اجتماع السقيفة إنما هو تعاليم من كتاب الله تعالى أوسُنَّة سنَّها رسول الله ﷺ فأراد أن يبدد كل الظنون الممكنة .

وبعد البيعة قام خليفة رسول الله وخطب الناس خطبة مبهرة ، بيَّن فيها دستور حكمه ، الذى لا يحلم به السياسيون والمفكرون فى القديم والحديث .

قال أبو بكر الصديق :« أما بعد أيها الناس ! فَإنى قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم ! فإن أَحْسَنْتُ فأعينونى ، وإن أسأتُ فقوِّمونى . الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح (أى أرد) عليه حقه إن شاء الله . والقوىُّ منكم (هو) الضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لايدع أَحَدٌ منكم الجهاد فى سبيل الله ! فإنه لا يَدَعُه قومٌ إلا ضربهم الله بالذل ! ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلاَّ عَمَّهم الله بالبلاء . أطيعونى ما أطعتُ الله ورسوله ، فإن عَصَيْتُ الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ! قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله »(٢)

---

(١) فتح البارى ؛ كتاب الأحكام ـ رقم ٩ / ٧٢ ـ ١٣ / ٢٠٦

(٢) سيرة ابن هشام ؛ ١ / ٣٧٤، تاريخ الطبرى ؛ ٣ / ٢١٠ .

بهذه الكلمات الموجزة المضيئة حدد خليفة رسول الله منهج حكمه ، فبهرتنا أصوله السياسية والأخلاقية . وقد قال فيها د. هيكل إنها آية من آيات الحكمة وفصل الخطاب »(١)

– وماذا تريد أمة من رئيسها أكثر من هذا ؟

– وهل بوسع حاكم حديث أن يلتزم بدستور مثل هذا ؟

ولا ريب أن أبا بكر لم يبتدع هذا الدستور من عند نفسه . فقد استقاه من القرآن الكريم ومن أحاديث الرسول العظيم ﷺ ، لكنه بَرَعَ فى صياغته الموجزة المركزة الثرية بالمضامين السياسية والأخلاقية . إن أبا بكر لم يكن حاكما كسائر الحكام ، وإنما كان خليفة نبى عظيم ، تقلد منصباً خطيراً لم يكن راغباً فيه أو ساعياً إليه وقد أعدَّته صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم للنهوض بتبعاته الثقيلة ، ووضعته فى مكان رفيع فى أعين الجميع ، فنهض بها على أحسن وجه ممكن .

ولقد رأيناه يرشح عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح للخلافة يوم السقيفة ، فيقول عمر:« . . . وإنِّى والله ما كرهتُ من كلامه شيئاً غير هذه الكلمة! وإن كنتُ لأُقَدَّمَ فَتُضرب عُنُقى ، فيما لا يقربنى إلى إثم ، أحبُّ إلىَّ من أن أؤمَّر على قوم فيهم أبو بكر. » (٢)

– ويفسر لنا كثير من مواقف الخليفة الأول ما أُثر عنه من قول « والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة ، ولا سألتها الله فى سر ولا علانية »(٣) رضى الله عنه وأرضاه فلم ينل منها إلا المتاعب والمشاق والمسؤوليات الجسام ، ولأن أم المؤمنين عائشة كانت تحب والدها حباً عظيماً حاولت إعفاءه من الصلاة بالناس ، وكررت المحاولة حتى غضب رسول الله ﷺ وقال :« إنكنَّ صواحب يوسف ! فَمُرُوه فَلْيُصلِّ بالناس ! » قالت عائشة :« فوالله ما أقول ذلك إلا أنى كنت أحب أن يُصرَفْ ذلك عن أبى بكر ، **وعرفْتُ أن الناس لا يحبون رجلاً قام مقامه**

---

(١) محمد حسين هيكل ؛ حياة محمد ؛ ص ٥١٠ .

(٢) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١١–٣/٢٠٦ .

(٣) ابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ ٦/٢٩٥ .

أبداً ، وأن الناس سيتشاءمون به فى كل حدث كان ، فكنت أريد أن يُصرف ذلك عن أبى بكر»[١]

ولو أراد النبى إبعاد أبى بكر عن المدينة ليخلو الجو لعلى ويفوز بمنصب الخلافة ، لأمر علياً ليصلى بالناس . **فإصرار النبى على أن يصلى أبو بكر بالناس دليل قاطع على زيف مزاعم غلاة الشيعة بأن النبى أراد إبعاد أبى بكر عن المدينة لتمكين علىّ من الفوز بالخلافة .**

إن هذه المزاعم فيها انتقاص من مكانة النبى صلى الله عليه وسلم وآله . فهى تعنى أنه كان يكيد لأبى بكر ، أو حتى يتآمر ضده ! وحاشاه أن يفعل ! ولو أراد العهد بالخلافة لعلى لما تردد لحظة فى الإعلان عن ذلك أمام الجميع ، وَلأَصَرَّ على أن يصلى علىٌّ بالناس ، لا أبو بكر .

وليس صحيحا أن أبا بكر منع أسامة بن زيد من التحرك بجيشه منتهكاً أمر النبى ببعثه ، وإنما كان المسلمون فى قلق عظيم لمرض نبيهم ، وانتقاض مدعى النبوة والمرتدين فى معظم القبائل ، فاستجاب لهم أسامة بالانتظار قليلاً حتى يطمئنوا على سلامة النبى . فلما تُوفى النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، وتمت البيعة لأبى بكر ، أصدر أمره لأسامة بالتحرك ، على الرغم من خطورة ذلك ، وعلى الرغم من نصيحة كبار الصحابة بإبقاء الجيش فى حراسة المدينة ، وقال رضى الله عنه :«**والذى لا إله غيره ، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ما رَدَدْتُ جيشاً وجهه رسول الله !**»[٢] **فكانت مفخرة فى سيرة الصديق ، لا منقصة كما يتوهم الغلاة .**[٣]

● الجهاد ضد المرتدين

وكان بعث جيش أسامة خطراً على المدينة كما سنرى فيما يلى .

---

(١) سيرة ابن هشام ؛ جـ ٤ ص ٦٥٢ ؛ ص ٦٥٠

(٢) ابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ جـ ٦ ص ٢٩٨

(٣) شرف الدين ؛ النص والاجتهاد ؛ ص ١٠٤

فقد اتسع نطاق الردة بين القبائل العربية بُعَيْدَ تولى أبى بكر الخلافة : « فلم يعد يسجد لله تعالى فى بسيط الأرض إلا فى ثلاثة مساجد : مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد عبد القيس فى البحرين ، فى قرية يقال لها « جواثا » . وظل المسلمون المتمسكون بدينهم محاصرين فى « جواثا » إلى أن فتح الله تعالى على المسلمين بلاد اليمامة ، فبعث رجل منهم رسالة استغاثة إلى خليفة رسول الله قال فيها :

ألاَ أبلغْ أبا بكر رسولاً ... وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى قومٍ كرامٍ ... قعودٍ فى «جواثا» مُحصرينا
كأن دماءهم فى كل فجٍ ... دماء البُدنَ تغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن أنّا ... وجدنا النصر للمتوكلينا

وهذه الرسالة تصور الأوضاع المتردية فى معظم أنحاء الدولة المسلمة .

ووجدَتْ هذه الاستغاثة وأمثالها أُذنًا صاغية لدى الصديق رضى الله عنه ، فحشد رجاله، وأرسلهم دون إبطاء لإغاثة المسلمين فى كل مكان .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : « لما مات رسول الله ﷺ ، وفَصَلَ أسامة (بن زيد) بجيشه ، ارتدت العرب ، عوام أو خواص . وتَوَحَّى (أى : ادَّعى الوحي) مُسيلمة وطُلَيحة ، فاستغلظ أمرهما . واجتمع على « طليحة » عوامُّ قبيلة طيْء وقبيلة أسد وارتدت قبيلة غطفان ؛ إلى ما كان من « أشجع » ، وخواص من قبيلة الأفناء ، فبايعوه . وقَدَّمت قبيلة هوازن رِجْلاً وأخرت رِجْلاً : أمسكوا الصدقة ، إلا ما كان من ثقيف ولَفِّها ، فإنهم اقتدى بهم عوامُّ « جديلة والأعجاز » .

وارتدَّت خواص سُلَيمْ ، وكذلك سائر الناس بكل مكان ! [1] وعن المجالد ابن سعيد قال : « لما فَصَلَ أسامة بجيشه كفَرت الأرض ، وتضرَّمت نارًا ، وارتدت من كل قبيلة عامة أو خاصة ، إلا قريشً وثقيفًا » [2] .

---

(١) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١١ هـ

(٢) الموضع نفسه .

– وحَرَّق الأسود العنسىّ من تمسكوا بإسلامهم، وأشهرهم أبو مسلم الخولانى[١].

وجاء زعماء القبائل إلى أبى بكر فى المدينة المنورة : « مرتدين يقرون بالصلاة ويمنعون الزكاة ، فلم يقبل منهم ، وردَّهم »[٢].

– وفطن الصديق إلى أن أولئك الزعماء سيعاودون المجئ إلى المدينة ، مهاجمين مقاتلين ! وصدق حَدْسُه ، فقد أغاروا على عاصمة الدولة ليلاً ، لكن حماة المدينة الذين كانوا يكمنون لهم متوقعين غدرهم ، استطاعوا دحرهم ، فهربوا . ثم عاودوا الهجوم فجراً ، لكنهم هربوا مرة أخرى أمام قوة المسلمين البواسل . وغنم المسلمون الكثير من الخيل والدواب ، وكان نصراً أعز الله به المؤمنين وأذل المرتدين.

وكان لذلك النصر أصداؤه الإيجابية فجاءت بعض القبائل إلى المدينة تحمل الصدقات .

ووردت الأخبار إلى المدينة تقول إن :« بنى ذبيان وَعَبْس » وثبوا على من تمسكوا بإسلامهم من أبناء جلدتهم ، فقتلوهم شر قتلة . والجريمة نفسها اقترفتها قبائل عديدة أخرى .

وحزن المسلمون فى المدينة حزنًا عظيمًا ، وأقسم أبو بكر : ليَقْتُلَنَّ من المشركين كل قتلة ! وليقتلن فى كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة » . [٣]

وقرر الصديق أن يخرج بنفسه لقتال أهل « الرَّبذة » ، فناشده المسلمون أن يبقى فى المدينة حِرصًا على حياته ، وقال قائلهم : « إنك إن تُصَبْ لم يكن للناس نظام » . فقال الصديق : « لا والله ! لا أفعل ، وَلأواسينكم بنفسى ! » واندلع القتال بقيادته ، وانهزم المشركون ، وأَجْلَى الصديق بنى ذبيان عن تلك البلاد ، كإجراء وقائى لأمن المدينة فى حالة حرب شاملة كتلك التى كان يخوضها المسلمون .

---

(١) فوات الوفيات ؛ جـ ٢ ص ١٦٩

(٢) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١١ هـ جـ ٣ ص ٢٤١ ، ٢٥١ .

(٣) نفسه ؛ جـ ٣ ص ٢٤٦

وشرع ابو بكر فى تجييش الكتائب وإرسالها لمقاتلة المرتدين .

فعقد لخالد بن الوليد لواءً وأمره بـ« طليحة بن خويلد » الذى ادعى النبوة ؛ فإذا فرغ من طليحة يسير إلى مالك بن نويرة .

وعقد لواءً لعكرمة بن أبى جهل، وأمره بـ« مُسيلمة » الكذاب فى بلاد اليمامة.

وقد انتهى الأمر بمقتل مسيلمة سنة ١٢ هـ ، وفتحت بلاد اليمامة صلحًا . (١)

وعقد لواء للمهاجر بن أبى أمية، وأمره بالقضاء على الأسود العنسىّ - عبهلة - مدعى النبوة فى اليمن الذى تفاقم خطره واستولى على مناطق واسعة وطرد المسلمين منها .

- وعقد لواءً لخالد بن سعيد بن العاص ، وبعثه إلى الشام .
- وعقد لواءً لعمرو بن العاص وبعثه إلى بلاد قضاعة .
- وعقد لواء لحُذَيفة بن محصن الغطفانى وأمره بأهل « دبَا » .
- وعقد لواء لعَرْفجة بن هرثمة وأمرة بقبائل « مَهْرة » .
- وعقد لواء لشُرَحْبيل بن حَسَنَه ، وبعثه تعزيزاً لعكرمة .
- وعقد لواء لطُريفة بن حاجز ، وأمره ببنى سُلَيْم وهوازن .
- وعقد لواء لسُوَيْد بن مقرن ، وأمره بـ « تهامة اليمن » .
- وعقد لواء للعلاء بن الحَضْرمى وأمره بالبحرين . (٢)

وكان المنذر بن ساوى ، عامل النبى على البحرين ، قد تُوفِّى بعد وفاة النبى بقليل ، فارتد أهل البحرين بعد موته ، وَهُمْ قبائل عبد القيس وبكر . لكن الله تعالى قيَّض لهم رجلاً صالحاً هو الجارود بن المَعَلَّى ، أقنعهم بالتوبة والعودة إلى ظلال الإسلام . وكانت حجة القوم أن محمداً قد مات ، ولو كان نبيًا ما مات ! فقال لهم الجارود :« ألم يمت أنبياء الله السابقون ؟ قالوا : بلى ! قال : فإن محمداً قد مات كما ماتوا » فعادوا إلى الإيمان . (٣)

---

(١) الذهبى ؛ العبر ؛ جـ ١ ص ١١

(٢) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١١ هـ ؛ جـ ٣ ص٢٤٩

(٣) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١١ هـ

obeikandl.com

وكتب أبو بكر رسالة إلى القبائل المرتدة قال فيها: إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات : «وإنى بعثت إليكم فلاناً فى جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، وأمرتُه ألاّ يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوَه إلى داعية الله ، فمن استجاب له وأقر ، وكف ، وعمل صالحاً ، قَبِل منه وأعانه عليه ؛ ومَنْ أَبَى أَمرتُ أن يقاتله على ذلك .ثم لا يُبقى على أحد منهم قَدَر عليه ، وأن يحرقهم بالنار ، ويقتلهم كل قتلة ، وأن يسبِى النساء والذرارى ، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام» . (١)

قاد أبو بكر عشر معارك فى آن واحد ! ولولا تصميمه الفولاذى على إنقاذ الأمة من الدمار ، ولولا رجال عظماء من الصحابة قادوا الجيوش وقاتلوا وقتلوا ، لما بقي للإسلام دولة . ولا يجوز لباحث منصف أن ينسى تلك القيادة الفذة الشجاعة ، وينشغل بمحاولات يائسة للنيل من الخليفة الأول العظيم .

كان موقف الصديق الحازم فى مواجهة مدعى النبوة والمرتدين دليلاً عملياً ساطعًا على جدارته بالمنصب الكبير الخطير فى ظروف عسيرة مخيفة . ويكفى أن نذكر أن عمر بن الخطاب الصحابى الجليل الشهير بالحسم والحزم قد حاول ثنْي الصديق عن قتالهم ، وقال مُذَكِّرًا الصديق إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله قال : «أُمرتُ أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم نفسه وماله» ورد أبو بكر بقوله : «والله لأقاتلنَّ مَن فَرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال . والله لو منعونى عَقَالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لَقَاتَلْتُهم على منعه» . (٢)

وواضح أن مراجعة عمر لا تشمل مدعى النبوة أو المرتدين ، بل تتحفظ على قتال مانعى الزكاة الذين لم يعلنوا ردتهم . وقد تيقن المسلمون منذ تلك المعركة أن إنكار أى معلوم من الدين بالضرورة كفر ؛ فمنع الزكاة كفر .

---

(١) نفسه ؛ أخبار سنة ١١ هـ جـ٣ ص ٢٥٠ – ٢٥١

(٢) الشوكانى ؛ نيل الأوطار ؛ كتاب الصلاة ؛ جـ١ ص ٢٨٩

وانتصر البطل خالد بن الوليد على «طُليحة» مدعى النبوة ، الذى فَرَّ إلى الشام ونصح بقية قومه - فزارة - بالفرار !

ورأت قبائل بنو عامر وسُلَيمْ وهَوَازن ذلك النصر المبين ، فأقبلوا يقولون : «ندخل فيما خرجنا منه - يعنى يريدون العودة إلى الإسلام - ونؤمن بالله ورسوله ، ونسلِّم لحُكْمه فى أموالنا وأنفسنا» .(١)

والأخبار فى المصادر المعتبرة تبين أن القوم ارتدوا واتبعوا الأنبياء الكذبة . وليس صحيحاً قول بعض النقاد الشيعة إن القوم «تريثوا» فى بيعة أبى بكر . . فقط تريثوا !

ولم يقبل المجاهد العظيم القعقاع بن عمرو من قبائل أسد وغطفان وطىْء إلا أن يأتوه بالمجرمين الذين حرقوا المسلمين ومثلوا بهم ، فأتوه بهم ، فعاقبهم بمثل ما صنعوا بالمسلمين الأبرياء ، فحرَّق بعضهم بالنار ، ورضخ بعضهم بالحجارة ورَمَى ببعضهم من قمم الجبال ، وبعث ببعض الأسرى إلى أبى بكر !

لكن فلول غطفان وهوازن وسُلَيم وأسد وطىْء تجمعت وراء امرأة يقال «سلْمى أم زِمْل» ، كانت قد سُبيت فى معركة سابقة وانتهى أمرها إلى أن صارت جارية عند أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، ثم رجعت إلى قومها ، وتزعمتهم بأساطير رددتها ! وكان لها جمل تركبه وتقف فوقه ، وقد أحاطته بأساطير خرافية حتى قيل : مَنْ نَخَس جملها فله مائة من الإبل ! ولم يغن ذلك شيئا حين التقت بالمسلمين بقيادة خالد بن الوليد ، إذ اجتمع حول الجمل بعض الفرسان وعقروه وقتلوها . وبعث خالد بأخبار النصر إلى أبى بكر فى المدينة .(٢)

كانت تعليمات الصديق لقادة جيشه قواعد أخلاقية رفيعة بحق . فقد قال لرجال جيش أسامة وهو يودعهم :«أيها الناس! قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى : لا تخونوا ، ولا تُغلُّوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً

---

(١) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١١ هـ - جـ٣ ص ٢٥٦

(٢) نفسه ؛ أخبار سنة ١١ هـ - جـ٣ ص ٢٦٤

ولا شيخًا كبيراً ، ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً إلا لمأكلة . . »[١]

وكل من يخالف هذه القواعد كان يعاقب . هذا هو الأمر المعتاد . فلا يعقل أن يقال ـ كما قال النقاد الشيعة ـ إن أبا بكر لم يكن يحاسب قادته أو عماله . فكيف يمكن تخيل ذلك فى دولة تحكمها شريعة وقيم أخلاقية وقواعد حربية ؟

● شناعة الغدر

ومن عجائب المشركين فى حروب الردة أن رجلاً يقال له «الفجاءة إياس ابن عبد ياليل» جاء إلى أبى بكر وزعم أنه مسلم وأنه يريد قتال المرتدين ، غير أنه يعوزه السلاح . وصدقه أبو بكر وأعطاه بعض السلاح . لكن الفجاءة استخدم السلاح لقتل المسلمين ! وغضب الصديق غضباً شديداً ، وأرسلُ طُريفة بن حاجز لقتله أو أسره ، فأسره ، وبعث به إلَى الصديق الذى أوقد له ناراً وألقاه فيها مكبلاً![٢]

وتلك عقوبة رهيبة ، لكن الخداع والغدر الوضيع واستباحة دماء المسلمين بسلاح المسلمين ، كلها أعمال رهيبة ومثيرة إلى أبعد الحدود . والأصل فى الإسلام أنه لا يحرق بالنار إلا خالق النار سبحانه وتعالى .

وقد اشتد النبى ـ صلى الله عليه وسلم وآله ـ فى عقاب الخونة الغادرين الذين أكرمهم النبى وسقاهم وأطعمهم ، فقابلوا كرمه العظيم بقتل يسار راعى رسول الله : «فذبحوه وغرزوا الشوك فى عينيه» ثم سرقوا الإبل والأغنام وهربوا . وأرسل النبى كُرْز بن جابر وراءهم فأتى بهم : «فقطع أيديهم وأرجلهم وسَمَّلَ أعينهم»[٣] فبشاعة الجرم سوَّغت شدة العقوبة والغدر الخسيس له وقع أليم وهو جدير بالعقاب المريع !

وكانت حالة الفجاءة استثناء أما القواعد العامة التى سار عليها الصديق ، فكانت ضمن حدود الشريعة الغرَّاء التى تقول ﴿ **فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ**

---

(١) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١١ هـ جـ٣ ـ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧

(٢) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١١هـ جـ٣ ص٢٦٤

(٣) سيرة ابن هشام ؛ جـ٢ ص٦٤١

بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] وتقول ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] وقد أمر قادته لقتال مَن رجع عن الإسلام أن يتقوا الله: «فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقر له، قَبِلَ ذلك منه، وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يُقاتَل مَن كفر بالله.. فمن أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل..»[١]

● قصة مالك بن نويرة

وكانت قبائل بنى تميم خاضعة للدولة المسلمة، وعين النبى صلى الله عليه وسلم وآله عمالاً لإدارة شؤونهم. وكان مالك بن نويرة أحد أولئك العمال، على بنى يربوع. وعزم الزبرقان، وهو أحد أولئك العمال، على البيعة لأبى بكر وإرسال الصدقات إلى المدينة، فى حين ارتد بعض رجال القبائل واضطربت أحوال القوم، فبعضهم آثر الانتظار وبعضهم ارتاب، وبعضهم تردد؛ وفى أثناء ذلك فاجأتهم امرأة تدعىّ «سجاح بنت الحارث»، تقود بنى تغلب وقبيلة ربيعة، فكانت داهية أصابت قبائل تميم حيث هاجمتهم وهم فى تلك الحال من الاضطراب والتفكك! ودعت مالك بن نويرة إلى الموادعة فأجابها.

● خالد بن الوليد والمرتدين

ادعت سجاح النبوة، وأرادت غزو المدينة المنورة وحملها مالك بن نويرة على أحياء بنى تميم، واضطر عمال النبى إلى الهرب، وأنكروا ما صنعه مالك بن نويرة. ثم اتفق مالك وسجاح ورجل يدعى وكيع على قتال المسلمين.[٢] ثم اتجهت سجاح إلى اليمامة واتفقت مع مسيلمة. وفاجأهم سيف الله المسلول خالد بن الوليد، فتفرقوا، فلجأت سجاح إلى بنى تغلب. وجاء بنو مالك إلى خالد بن الوليد يحملون الصدقات، واعتذروا له عن موادعة سجاح. ولم يبق من بلاد بنى حنظلة متمرد إلا مالك بن نويرة ومن انضم إليه من قبيلة البطاح.[٣]

وبعد أن أخضع خالد قبائل أسد وغطفان وطيئاً وهوازن، اتجه إلى «البطاح»،

---

(١) تاريخ الطبرى؛ جـ٣ ص ٢٥١ - ٢٥٢ (٢) تاريخ الطبرى؛ جـ٣ ص ٢٧٠
(٣) نفسه؛ جـ٣ ص ٢٧٦

ولما أحس مالك بن نويرة بقدوم خالد ، وزع أتباعه فى أراضيهم ، وقال لهم : « يا بنى يربوع ! إنا قد كنا عصينا أمراءنا (يقصد أبا بكر الصديق) إذْ دعونا إلى هذا الدين، وبطأنا الناس عنه، فلم ننجح ولم نفلح » ورجع هو إلى منزله.

وأمر خالد رجاله بأن يأتوه بكل من لم يجب إلى الإسلام ، فجاءوه بمالك بن نويرة وآخرين . وكانت ليلة باردة فأمر خالد رجاله بأن « يدفئوا أسراهم » . وكانت هذه العبارة فى لغة كنانه تعنى القتل ، فقتلوهم ! وكان ضرار بن الأزور هو الذى قتل مالك بن نويرة ، أى أن خالد بن الوليد كان بريئًا من دمه ، لكنه أخطأ حين تزوج امرأته أم تميم ابنة المنهال ، « وتركها لينقضى طُهرها »[1] وقد عنَّفه أبو بكر على الزواج ، لكنه عذره فى قتل مالك .

ويتناسى النقاد الشيعة كل بطولات خالد وجهاده العظيم ضد أدعياء النبوة وأتباعهم من المرتدين والمتمردين ومانعى الزكاة ، ولا يذكرون إلا مقتل مالك بن نويرة ، لكى يتخذوه تكئة للتهجم على الصديق رضى الله عنه ، ويتورط بعض المؤلفين السُّنة فى الانجرار إلى موقف الدفاع عن الرجلين العظيمين خالد وأبى بكر! **والعلم الموضوعى يجب أن يتصدى لذلك النقد المغرض ، وأن يتجاوزه بسرعة، لكى ينشغل بالفتوحات والانتصارات الكبرى التى أنقذت الدولة المسلمة من الانهيار الشامل ، وأعادت بنيانها قويًا شامخاً .**

ومن مفاخر الصديق وعمر بن الخطاب أنهما أرسلا عبد الرحمن بن أبى بكر وزيداً بن الخطاب شقيق عمر ، تحت إمرة خالد بن الوليد إلى تلك المعركة الرهيبة ! وكان معهما أيضا عبد الله بن عمر . وقد استشهد زيد ، وعاد عبد الله ، فسأله والده :

أَلاَ هَلَكْتَ قبل زيد ؟ !

فرد عبد الله : قد حرصتُ على ذلك أن يكون ، ولكن نفسى تأخرت ، فَأكرمه الله بالشهادة .

---

(١) تاريخ الطبرى ؛ جـ٣ ص ٢٧٩

وأبْلَى عبد الرحمن بن أبى بكر بلاءً حسناً ، إذ قَتَلَ أَحَدَ أعظم قادة بنى حنيفة « مُحَكَّم بن الطفل » ، رماه عبد الرحمن بسهم فى نحره فقتله .

واجتمعت جموع بنى حنيفة الهائلة فى حديقة لهم ، فقال البراء بن مالك لإخوانه المجاهدين : ألقونى عليهم ! فألْقوه ، فقاتل قتالاً شرسًا حتى فتح الباب للمسلمين !

وَقَتلَ وحشيٌّ مسيلمة بحربته الشهيرة ، ثم أجهز عليه رجل من الأنصار .

كانت معركة الحديقة هى المعركة الكبرى الفاصلة . وقد وقعت قبلها معركة صغيرة ، قَضَى المسلمون فيها على كل من شارك فيها من بنى حنيفة ، وأسروا زعيمهم « مجَّاعة بن مرارة » ، الذى وقع وثيقة الاستسلام عن قومه بُعَيْد المعركة الكبرى .

وتوصف معركة الحديقة بأنها لا مثيل لها فى تاريخ العرب حتى ذلك اليوم وكان رجال بنى حنيفة ٤٠٠٠٠٠ (أربعمائة ألف) قُتل منهم ألف وأربعمائة ومن المسلمين ألف ومائتين .

وتجلت عبقرية خالد حين رأى الحرب سجالاً ، تكون مرة على المرتدين ومرة على المسلمين . عندئذ أمر أن يقاتل رجال كل قبيلة معاً ، وقال للناس : « أيها الناس امتازوا ، لنعلم بلاء كل حي ، ولنعلم من أين نُؤتى ! » وأدرك البطل أن النصر لن يتم إلا بقتل مسيلمة ، فهاجمه وأرهقه ، فأدبر ، وتراجع قومه من ورائه واحتموا بالحديقة . وفتح بابها البراء بن مالك ، وقتل وحشى مسيلمة ، وانهزم المرتدون . ووقع « مُجَّاعة » وثيقة الاستسلام .

● نقطة ضعف فى البطل

وتجلت نقطة الضعف فى القائد الفذ ، إذْ طلب الزواج من ابنة « مُجَّاعة » ، فى ظرف غير مناسب بالمرة ؛ وغضب الصديق من ذلك فكتب إليه يقول : « لعمرِى يا بن أم خالد ! إنك لفارغ ، تنكح النساء وبفناء بيتك دَمُ ألف ومائتى رجل من المسلمين لم يجففْ بعد ! » (١)

---

(١) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١٢هـ جـ٣ ص ٣٠٠

وغضب عمر بن الخطاب من سلوك خالد بن الوليد وخصوصاً مَقْتَل مالك بن نويرة ، وألح على الصديق أن يعزله ، **فقال أبو بكر : لا يا عمر ، لم أكن لأشيم (أى أغمد) سيفًا سَلَّه الله على الكافرين .»**

واعتذر خالد لأبى بكر عما حدث ، وشرح له تفاصيل الوقائع ، فَعَذَرَه . وقال أبو بكر لعمر " «هيه يا عمر ! تأول فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد !» ودفع الصديق الدية الشرعية لأهل مالك كما هى فى القتل الخطأ ورد السَّبي إلى بنى يربوع ، قوم مالك .

وكان من تفاصيل حادثة مقتل مالك بن نويرة أنه تحدث إلى خالد فقال ضمن حديثه : «ما أخَالُ صاحبكم - يعنى النبى ! - إلا وقد كان يقول كذا وكذا» فقال له خالد : «أوَ مَا تَعُدُّه لك صاحباً ؟» والمؤمن الحق لا يتحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم وآله بذلك الأسلوب ، فأدرك خالد أن الرجل قد ارتد . هذا فضلاً عن موادعته «سُجاح» والعمل معها ضد المسلمين، وتحريض قومه على عدم إيتاء الزكاة.(١)

وينسى الناقد الشيعى كل هذه الحقائق ، للأسف ، ليصور البطل المجاهد خالد بن الوليد فى صورة المعتدى ، ويصور الصدِّيق رضى الله عنه فى صورة المستهين بدماء المسلمين ؛ **وهذا النقد متحيز وغير علمى ، ولا وزن له ، بل هو مضلل ، يغشِّى على أبصار المسلمين حتى لا يروا حقيقة الانتصارات الباهرة التى حققها الصدِّيق ورجاله المجاهدون ، فى ظروف غاية فى الصعوبة والاضطراب .**

وكان المنذر بن ساوى - عامل النبى على البحرين - قد مات بعد موت النبى ﷺ بقليل . وارتد بعض أهل البحرين بعد موته ، وثبت بعضهم على إسلامه . وبعث أبو بكر الصديق العلاءَ بن الحضرمى إلى البحرين ليفك الحصار الخانق الذى ضربه المرتدون على المسلمين . وكان يقود المرتدين رجل اسمه «الحُطَم بن ضُبَيْعَة» وكان مالك بن نويرة يعينه على المسلمين وهو فى البطاح»(٢) .

---

(١) راجع تفاصيل هذه القضية فى تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١١هـ ؛ جـ١ ص٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ؛ وصحيح مسلم ؛ جـ٣ ص٢٠٣ ؛ وفوات الوفيات ؛ جـ٣ ص٢٣٤

(٢) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١١هـ - ١ ص٣٠٥

ـ وبعث العَلاء أحد رجاله ليستطلع أحوال الأعداء ، فوجدهم فى معسكرهم سكارى ! واقتحم المسلمون معسكرهم ، وقتلوا منهم عدداً كبيراً ، وفر الباقون . ووقع بعضهم فى الأسر وقُتِلَ « الحُطَم » وتجمعت فلولهم فى مكان يسمى « دارين » فطاردهم المسلمون وهزموهم شر هزيمة . وكتب العلاء إلى الصديق يبشره بالنصر .

● عُمان و« مَهْرة » ونبى كاذب !

وكان قد ظهر فى عُمان رجل اسمه « ذو التاج لقيط بن مالك الأزدى » ، ادَّعى النبوة ، وارتد عن الإسلام بعد أن كان قد أسلم .وسيطر على عمان ، وطرد منها عاملى النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، وهما : جَيفَر وعَّباد ، فلجأوا إلى الجبال . واستغاثا بأبى بكر ، فبعث إليهما حُذَيفة بن محصن الغَلْفانى وعرفجة البارقى . واتجه حذيفة إلى عمان ، واتجه عرفجة إلى « مَهْرة » ثم عززهما الصديق بعكرمة بن أبى جهل . وتجمع كل أولئك القادة ونظموا قوتهم ، واتفقوامع بعض القبائل ، ثم خاضوا المعركة ضد « لقيط » وكانت معركة رهيبة ، قُتل فيها (١٠٠٠٠) عشرة ألاف من المرتدين ، وغنم المسلمون الكثير ، فكان الخمس الذى أرسل إلى أبى بكر (٥٠٠) خمسمائة رأس[١] .

ثم اتجه المسلمون إلى « مهرة » فوجدوهامنقسمة على نفسها . وتزعم جماعة منها رجل اسمه « شخريت » ، وقد هداه الله وعاد إلى الأسلام بدعوة عكرمة بن أبى جهل ، وانضم إلى المسلمين فى قتال الجماعة الأخرى التى أصرَّت على الردة بقيادة المدعو« المصبِّح » . وانتصر المسلمون وأرسلوا خمس الغنائم إلى أبى بكر مع البشارة بالنصر .

وفى « تهامة » انتصر عَتَّاب بن أسيد مع من ثبت على إسلامه .

وفى بلاد « عَك » انتصر الطاهر بن أبى هالة على المرتدين .

وهكذا أنقذ أبو بكر الصديق وإخوانه الأبطال والدولة المسلمة من الانهيار والزوال ، رضى الله عنهم جميعاً .

---

(١) تاريخ الطبرى : أحداث سنة ١١ هـ ـ جـ ٣ ص ٣١٣ ـ ٣١٦ .

● البذرة الأولى للخلاف : على يتأخر عن البيعة

إن المعلومات التى تزخر بها المصادر الإسلامية على وفرتها لاتجيز للباحث المنصف الحديث عن وجود « سنة وشيعة » فى تلك الفترة الباكرة إلا بعد مقتل عثمان بن عفان : كما سنرى فيما يلى من هذه الدرسة . أما قبل ذلك فلم يوجد إلا جماعة المسلمين أو « الأمة المسلمة » .

لكن بيعة أبى بكر أفرزت خلافاً بين على بن أبى طالب وأبى بكر ، ومن الممكن اعتبار ذلك بذرة الخلاف الأولى بين الفريقين . ذلك أن على بن أبى طالب لم يبايع أبا بكر إلا بعد ستة أشهر من يوم السقيفة ، وبعد وفاة فاطمة الزهراء رضى الله عنها . وكان يرى أنه الأحق بالإمامة[١] .

يقول الطبرى أن عليًا رضى الله عنه جمع بنى هاشم عنده واستدعى أبا بكر، فلما دخل عليه قال علىٌّ :« أما بعد ، فإنه لم يمنعنا من أن نبايعك يا أبا بكر إنكارٌ لفضيلتك ، ولا نَفَاسَة عليك بخير ساقه الله إليك ، ولكنا كنّا نرى أن لنا فى هذا الأمر (يعنى الخلافة) حقاً فاستبددتم به علينا » ثم ذكر علىٌّ قرابته من رسول الله ﷺ[٢] .

ـ ورد أبو بكر قائلاً :« أما بعد ، فوالله لقرابة رسول الله أحب إلىَّ أن أَصِلَ من قرابتى . » [٣] ثم تطرق الحديث إلى موضوع ميراث فاطمة من أبيها . وبعد ستة أشهر بايع علىٌّ أبا بكر ، وأثنَى عليه . ورأى المسلمون ذلك فأقبلوا على علىٍّ وقالوا له :« أَصَبْتَ وأَحسنْتَ »[٤]

ـ وحاول أبو سفيان بن حرب فى فترة قعود علىٍّ عن البيعة لأبى بكر أن يحرض عليًا على التمرد وانتزاع الخلافة بالقوة . وكان يحاول إثارة ثائرة علىٍّ

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة الشقشقية : ص٣٣

(٢) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١١هـ ـ ٣/٢٠٧

(٣) نفسه ؛ ٣/٢٠٩ (٤) نفسه .

فيقول : أين الأذلاّن ، علي والعباس ؟! وقال لعلي يوماً :« أبَاحسن ! ابسُط يدك حتى أبايعك ! » فرفض عليٌ وقال له :« إنك والله ما أردتَ إلاّ الفتنة ! وإنك والله طالما بَغَيْتَ الإسلام شرًّا ! لاحاجة لنا فى نصيحتك ! »[١] وهذا الحوار يبين حكمة علي رضى الله عنه وفهمه العميق للناس .

وقد علق ابن كثير رحمه الله على مبايعة عليّ لأبى بكر بقوله :« إن مبايعة عليّ دون تأخير هى مايليق به . والذى يدل عليه الآثار : من شهوده معه الصلوات، وخروجه معه إلى ذى القصبة بعد موت رسول الله ﷺ ... وبذله النصيحة والمشورة بين يديه »[٢]

لكن أحد كتاب الشيعة المعاصرين يؤكد أن عليًّا لم يبايع أبا بكر ، بل إنه حاول الانتقاض عليه ، لكنه أخفق ، فظل معارضاً له دون أن يتمكن من القيام ضده بعمل مسلح .[٣]

وذكر « القبانجى » أن عليًّا كان يدور على بيوت الأنصار ، ومعه زوجته يحثهم على نقض البيعة لأبى بكر ومبايعته هو ، وأنه جمع حوله بعض أنصاره ، مثل الزبير بن العوام والمقداد ، ومعهم السلاح . وكان يدبر الأمور معهم فى بيته للإطاحة بأبى بكر ! (والمصادر السُّنية لم تذكر شيئاً عن تلك المؤامرات)[٤]

لكن ثمة خبراً يشير إلى صحة ذلك ، فيذكر أن عمر بن الخطاب ذهب إلى بيت عليّ وكلم فاطمة قائلاً :« يابنت رسول الله ! مامن أحد فى الخلق أحب إلينا من أبيك ومنك بعد أبيك . وايم الله ما هذا بما نعي ، إن اجتمع هؤلاء النفرعندك ، أن آمر بتحريق البيت عليهم ! »[٥]

إن تهديدات عمر لاتكون بهذه الشدة إلا كرد فعل لعمل خطير ، وهى محاولة عليّ الانقلاب على الخليفة . ويجب ألاّ ننسى أن هذه الأحداث وقعت فى الفترة الحرجة التى كانت حركة الردة الشاملة تتهدد الأمة المسلمة بُعَيْد وفاة النبى ﷺ .

---

(١) نفسه . (٢) ابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ ج٦ ص٢٩٥

(٣) القبانجى (صدر الدين)؛ تاريخ التشيُّع الفكرى والسياسى ؛ ص٤٨

(٤) القبانجى ؛ تاريخ التشيع الفكرى ؛ ص٢٦

(٥) النص والاجتهاد ؛ هامش ص٩٢

وكان من الطبيعى أن يغضب الخليفة الذى كان ينتظر العون من على وأصحابه . فإذا أُثر عنه أنه انتقد عليًا ووصف فعلته بألفاظ شديدة ـ دون ذكر اسمه ـ كان معذوراً فى ذلك دون ريب .

والناقد الشيعى لم ينتبه إلى أن التآمر على إمام الأمة خطأ جسيم ، لا يرتضيه مسلم عادى ، ناهيك عن إمام عظيم مثل على ، يدَّعون له العصمة . إن كل مايشغله هو النيل من أبى بكر بإثبات أنه سَبَّ عليًا دون أن يذكر اسمه . وفى اعتقادى أن هذه الأخبار ملفقة ولا تليق بالإمامين العظيمين أبى بكر وعلى رضى الله عنهما . (١)

● البذرة الثانية للخلاف

والبذرة الثانية للخلاف بين على وأبى بكر كانت « أرض فَدَك » ، وهى ضيعة من أموال يهود بنى النضير :« مما أَفاءَ الله على رسوله ، مما لم يُوجَفْ عليها بخيل ولا ركاب، فكانت للنبى ﷺ خالصة دون المسلمين ،فكان النبى ﷺ ينفق منها على أهله نفقة سنة ، فما فَضُل جعله فى الكراع والسلاح عدةً فى سبيل الله عز وجل ، ثم توفى النبى ﷺ فَوَلِيهاَ أبو بكر بمثل ماوليهَا رسول الله ﷺ . » (٢)

قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها :« إن فاطمة رضى الله عنها أرسلت إلى أبى بكر تسأله ميراثها من النبى مما أفاء الله على رسوله ﷺ ، تطلب صدقة النبى التى بالمدينة « وفَدَك » وما بقى من خمس خيبر »(٣).

« فقال أبو بكر : إن رسول الله ﷺ قال : لا نُورث . ما تركنا فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، يعنى مال الله ، ليس لهم أن يزيدوا على المأكل . وإنِّى والله لا أُغير شيئاً من صدقات رسول الله ﷺ التى كانت عليها فى عهد النبى ﷺ ، ولأعملَنَّ فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ »(٤)

---

(١) ليالى بيشاور ؛ ص٣٢٢

(٢) الشافعى ؛ الأم ، ط الشعب ، ٤ / ٦٤ـ٦٥

(٣) فتح البارى : كتاب فضائل الصحابة ؛ رقم ٣٧١١ـ٧ / ٧٧

(٤) نفسه ؛ رقم ٣٧١٢ ، وأيضاً كتاب فرض الخمس ؛ رقم ٣٠٩٢ ـ ٦ / ١٩٦

وهذا هو عين الصواب الذى يتحتم أن يتمسك به خليفة النبى .

وقد غضبت فاطمة رضى الله عنها من رد أبى بكر وخاصمته حتى ماتت .

والخلاف هنا لا يتعلق بالخلافة أو الإمامة ، بل بمسألة مالية . وأبو بكر تصرف كما كان يفعل دائماً ، أى كمتَّبع لرسول الله ﷺ ، لا كمبتدع مخالف له . وفى هذه المسألة وجد نفسه بين نارين : فهو إما أن يُرضى فاطمة ويخالف سُنَّة النبى وإما أن يمتثل للسُّنَّة ويُغضِبْ فاطمة ، وقد اختار الامتثال للسُّنَّة ، وهذا هو الاختيار الصائب .

ويلاحظ أن حديث «لانُورث ما تركنا فهو صدقة» ليس من رواية أبى بكر وحده ، فقد رواه أيضاً عمر وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأزواج النبى وأبو هريرة وعلي بن أبى طالب نفسه :« والرواية عن هؤلاء ثابتة فى الصحاح والمسانيد ، مشهورة ، يعلمها أهل العلم بالحديث »(١)

ويجب أن نتذكر أن عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر ، وسائر أزواج النبى ﷺ ورضى الله عنهن جميعاً كان لهن نصيب فى تركة النبى لو لم تثبت صحة ذلك الحديث . ولو كان أبو بكر ممن يُؤْثر الدنيا على الآخرة لَقَسَّم التركة على الورثة ، ومنهم ابنته ، لكنه آثر طاعة رسول الله واتباع سنَّته .

ومع مرور السنين والأحقاب تنقلب الحقائق إلى خرافات ، فتصير حدود فدك ، فى حوار بين الخليفة العباسى المهدى والإمام الكاظم ، جبل أحد ، وعريش مصر ، ودومة الجندل ! وفى رواية أخرى أن الحوار كان مع هارون الرشيد والإمام موسى بن جعفر ، وأنه حدد حدودها بعدن وسمرقند وإفريقيا وسيف البحر (قرب أرمينيا) » (٢)

وهذا مستحيل طبعاً ، لأن الإمام موسى بن جعفر كان على علم بحدود فَدَك

---

(١) ابن سعد ؛ الطبقات الكبرى ؛ ٢ / ٤٤٠ ؛ وابن تيمية ؛ منهاج السنة النبوية ؛ ٢ / ١٥٧

(٢) راجع الحكومة الإسلامية للخومينى ؛ وقد نقله عن بحار الأنوار .

- وهى مرعة بأرض الحجاز - ولايمكن أن يقول ذلك الكلام الخاطئ . والمشكلة أن المؤلفين الشيعة الذين أوردوا هذا الكلام الخاطئ كصاحب كتاب بحار الأنوار ، والخومينى نفسه ، لم يعلقوا على الخبر مما يُفهم منه أنهم مصدقون له !

ويزعم بعض غلاة الشيعة أن أبا بكر طلب من فاطمة شهوداً لإثبات ملكيتها لـ« فدك » ويعترض هؤلاء على طلب أبى بكر بقولهم إن فاطمة كانت معصومة من الخطأ، مأموناً منها فعل القبيح ، ومن هذه صفته لا يحتاج فيما يدعيه إلى شهادة وبينة »(١)

غير أن الروايات التى ذكرت مسألة فدك ، وهى عديدة ، لم يردْ فيها ذكر العصمة ، ولم يقل علىٌ ولا قالت فاطمة إننا معصومان ، ولا نخطئ ، وكلامنا يجب أن يُصدَّق دون شهود ! ولم يؤثر عن علىٍ فى أية قضية كان طرفاً فيها أن قال أنا معصوم .فإذا لم يقل إنه معصوم فى أية قضية كان معنى ذلك أنه لم يكن معصوماً .

والحق أن العصمة للنبى ﷺ فى كل ما يُبَلِّغُهُ عن ربه ، كما سوف نثبت ذلك فى فصل آت . ومن البدهىّ أن لا أحد سواه كان معصوماً .

ويزعم هؤلاء الغلاة أن أبا بكر كتب كتاباً بتسليم فدك إلى فاطمة بشهادة على ، لكن عمر بن الخطاب مَزَّقَ الكتاب وخرقه ! بل قالوا إن عمر أخذ الكتاب من فاطمة وَتَفَلَ فيه ، ومزقه ، فخرجت فاطمة تبكى »(٢)

كأن عمر هو الخليفة ، لا أبو بكر ! ولْنفرض أن عمر صنع ذلك الصنع القبيح، فهل كان علىٌ يسكت عليه ؟ وهل كان أبو بكر يتقبله وهو إهانة له ؟ ألم يكن من الطبيعى أن يكتب أبو بكر كتاباً آخر لفاطمة ؟!

- إن هذا لم يحدث ، لأن الخبر أصله من مخترعات غلاة الشيعة الذين أرادوا « شيطنة » عمر . **ويشهد الله والمؤمنون فى كل العصور أن عمر بن الخطاب كان مفخرة للإسلام والمسلمين في عدله وحكمه ، وأنه قاد الأمة إلى الفلاح والنجاح ، والاستقرار ، والأمن ، والسيادة على أصقاع واسعة من العالم ، من بلاد الشام ، ومصر ، وبلاد فارس ، وإن أية محاولة للنيل منه لهى جريمة كبرى فى حق أمتنا !**

---

(١) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ ٤ ص ٣٤٨ - ٣٤٩ (٢) نفسه ؛ ٣٥٠-٣٥١

ولقد وافق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ فى أثناء ولايته ـ على أن يتولى علي والعباس إدارة «فدك» على القواعد نفسها التى أديرت عليها فى عهد النبى ثم فى عهد أبى بكر ، لكنهما لم يتفقا ، وجاءا يختصمان إلى عمر فقال لهما : «أتريدان أن أدفع لكل واحد منكما نصفاً ؟ أتريدان منى قضاءً غير ما قضيت به بينكما أولاً ؟ فلا والله الذى بإذنه تقوم السماوات والأرض لا أقضى بينكما قضاءً غير ذلك ! فإن عجزتما عنها فادْفَعَاها إلىَّ أَكْفكمَاهَا»(١)

وقد أورد ياقوت الحموى هذا الخبر ، ثم تتبَّع ملكية «فدك» حتى عهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه (٦٤-١٠١هـ) الذى آلت إليه ، فردها إلى الوضع الذى كانت عليه فى عهد النبى ثم أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ،ثم علي (٢).

ويفهم من هذا أن عليًّا رضى الله عنه لم يستغل سلطته كأمير للمؤمنين لمدة أربع سنوات وبضعة أشهر ليعيد تلك الضَّيْعة إلى ملكية ورثة فاطمة رضى الله عنها. **ومن هذا قد نفهم أنه رضى الله عنه قد تأكد من صحة الحديث : «لا نُورث . ما تركنا فهو صدقة»** ولا نشك فى أنه من رُواته . والشيعة اليوم وعلى امتداد التاريخ يعتبرون أبا بكر ظالماً لفاطمة لأنه حرمها من ميراثها الشرعى . فلماذا سكت علىّ على ذلك الظلم بعد أن أصبحت بيده إزالته ؟

وهكذا تحولت الخلافات الاقتصادية ، المالية ، إلى الطعن فى دين الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول لأنهم ظلمة استلبوا ميراث الزهراء فى تركة أبيها ، كما استلبوا حق علىٍّ فى الخلافة ، وأصبح سبُّ الراشدين الظلمة تراثًا شيعيًّا عامًّا . وإذا صحَّ أن عليًّا لم يَرُد ميراث فاطمة لأولادها وهو قادر على ذلك لصح أنه كان ظالماً مثل الثلاثة السابقين عليه !! وهكذا أصبح ماسُمِّىَ بـ«مظلومية» الزهراء بمثابة هُوَّة شاسعة بين الشيعة وأهل السنة على امتداد التاريخ حتى الساعة . **ونسى الجميع أنه إذا كان لفاطمة ميراث ومظلومية فإنه يجب أن يكون لكل واحدة من أزواج النبى ، وكل واحد من ورثته ، ميراث ومظلومية ، لأنهم جميعاً لم يرثوا !**

وحاول بعض الباحثين الشيعة تكذيب حديث :«لانورث . ما تركنا فهو

---

(١) الشافعى ؛ الأم ؛ ط الشعب ؛ ٤ / ٦٤ : فتح البارى ؛ كتاب الفرائض ؛ جـ ١٢ ص٦

(٢) معجم البلدان ؛ مادة فدك ؛ ٤ / ٢٣٨-٢٤٠

صدقة » بالاستناد إلى شرع مَنْ قبلنا من أنبياء الله ، وقد قال الله تعالى « وَوَرِثَ سليمانُ داودَ » فكيف يقال إن الأنبياء لا يورثون ؟

ـ وقد فَنَّدَ شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الادعاء فقال :« إن لفظ الإرث يستعمل في إرث العلم والنبوة والمُلك وغير ذلك من أنواع الانتقال » . وسليمان ورث عن أبيه النبوة والعلم ، لا المال ، فحديث :« لانورث » صحيح . ويضيف ابن تيمية قرينة أخرى وهي أن النبي ﷺ أَبَى إعطاء فاطمة خادماً ، كما هو ثابت في الصحيحين . فعنده أن هذا يبين مشروعية سلوك أبي بكر حين أَبَى أن يعطيها « فدكاً »(١)

وفي اعتقادي أن مسألة « فدك » تسئ إلى علي رضي الله عنه وإلى فاطمة رضي الله عنها ، إذ أنها تظهرهما في صورة قوم حريصين على الدنيا وأعراضها ، وهو ما يتعارض مع صورة الزهاد التي عرفناها عنهما . ومن المحزن أن نجعل نحن المسلمين من قضية ملكية قطعة أرض زراعية باباً طويلاً ، عريضاً ، مريراً، في تاريخ الخلاف بين فرق الأمة المسلمة ، بحيث يصبح من العسير أن نختصرهُ أو أن نطويه أو نتجاوزه لكي تلتئم صفوف أمتنا المسلمة في مواجهة الحرب العالمية المعلنة عليها في كل أقطارها من قِبَلِ الولايات المتحدة والغرب والشرق جميعاً .

وعلى نقيض ما يقوله الشيعة ، لم تقل فاطمة إن أباها وهب لها « فدكاً » « وإنما اخبرتها أم أيمن بأن ذلك كان قصده. وهذا ما ذكره محمد حسين هيكل رحمه الله(٢) . وهذا الكلام يهدم ركناً كبيراً من دعوى المظلومية .

● البذرة الثالثة للخلاف : سهم ذوى القربى

ـ وطالبت الزهراء ـ رضي الله عنها ـ بنصيبها في سهم ذوي القربى الذي نصت عليه الآية الكريمة ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾ [الأنفال:٤١] .

ـ قال لها أبو بكر :« بأبي أنت وأمّي ، ووالد ولدك ، السمع والطاعة لكتاب

---

(١) منهاج السنة النبوية ؛ ٢ / ١٦٩ ؛ وابن حجر في فتح الباري ؛ كتاب الفرائض ؛ رقم ٦٧٣٠ جـ ١٢ ص ٨-٩

(٢) محمد حسين هيكل ؛ حياة محمد ؛ ص٥١٤

الله ولحق رسول الله ﷺ وحق قرابته . وأنا أقرأ من كتاب الله الذى تقرئين فيه ، ولم يبلغ علمى منه أن هذا السهم من الخُمس يُسلَّم إليكم كاملاً » .

قالت :« أفلك هو ولأقربائك ؟

ـ قال :« لا ، بل أنفق عليكم منه ، وأصرف الباقى فى مصالح المسلمين»

ـ قالت : « ليس هذا حكم الله تعالى ! »

ـ قال :« هذا حكم الله تعالى . **فإن كان رسول الله عهد إليك فى هذا عهداً ، أو أَوْجَبهُ لكم حقاً ، صَدَّقْتُك وسلَّمته كله إليك وإلى أهلك** » (وهذا الرد يدحض اتَّهام أبى بكر بأنه لم يُصَدِّق فاطمة !)

ـ قالت : إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلىَّ فى ذلك بشىء ، إلاَّ أنى سمعْته يقول ـ لما نزلت هذه الآية ـ : « أبشروا آل محمد فقد جاءكم الغنى ! »

ـ قال أبو بكر :« لم يبلغ علمى من هذه الآية أن أُسلِّم إليكم هذا السَّهم كاملاً، **ولكن لكم الغنى الذى يغنيكم ويفضل عنكم** . وهذا عمر بن الخطاب وأبوعبيدة ابن الجراح ، فَاسْأليهما عن ذلك وانظرى هل يوافقك على ما طلبْت أحد منهما . »

فانصرفت فاطمة رضى الله عنها إلى عمر فقالت له مثل ما قالت لأبى بكر ، فقال لها مثل ما قال أبو بكر . فعجبتْ فاطمة رضى الله عنها من ذلك ، وظنت أنهما كانا قد تذاكرا ذلك واجتمعا عليه »(١)

الخلاف هنا فى تفسير الآية . **فإن الزهراء فهمت منها أن السهم كله من حقها هي ، فى حين فهم أبو بكر وعمر أن لها منه نصيباً يغنيها ويفضل عنها ، والباقى يُصرف فى مصالح المسلمين .**

وبعد الانتصارت الرائعة للصديق رضى الله عنه ، واتساع الفتوح فى عهده، كثرت الغنائم والأنفال ، وزادت احتياجات الجيوش التى تقاتل أدعياء النبوة والمرتدين . والآية تحدد الذين لهم الحق فى الاستفادة من هذا السهم ، مما يؤكد صحة فهم أبى بكر وعمر لها. ولكن الشيعة يرون أنهما أخطآ ، وأن الزهراء كانت صائبة فى اجتهادها (٢) .

---

(١) الميلانى ، قادتنا ، جـ ٤ ص٣٨٧ (٢) نفسه ،ص٣٩١

● أبو بكر الخليفة الأول

ثارت مجادلات عديدة بين أهل السقيفة ، انتهت بالبيعة لأبى بكر الصديق خليفة للمسلمين ، ثم شرع فوراً فى مواجهة أعاصير الردة فى اليمامة وعُمان والبحرين ، وأرسل الكتائب لقمعها . وتوقفت المفاضلات بين الخليفة الأول وبين على بن أبى طالب الذى اعتقد أنه الأحق بالخلافة لكنه بايعه وانضم إلى وزرائه الكبار .

ولم تظهر الفرق الإسلامية إلا عند اختيار عثمان بن عفان للخلافة . بعد مقتل عمر بن الخطاب ، وظهور بنى أمية . عندئذ ظهرت الروايات العديدة التى تفضل هذا أو ذاك .

لم يقل أبو بكر : أنا أفضل من عمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وأبى عبيدة بن الجراح ، بل قالها صريحة مدوية يوم السقيفة :«إنِّى وُلِّيتُ عليكم ولَسْت بخيركم !»

وتَولَّى عمر بن الجطاب المنصب بعد سنتين ونصف تقريباً ، بعهدٍ من أبى بكر ، فعادت المفاضلات إلى الظهور على استحياء . وعندما اختار عبد الرحمن بن عوف عثمان نيابة عن السِّتَّة من أهل الشورى عادت المفاضلات بقوة بين الخلفاء الأربعة ، وغضب علىٌّ واتهمه بالتحيز للأمويين من أصهاره .

وبعد مقتل عثمان بايع الناس علىَّ بن أبى طالب . لكن الأمور لم تستقر له، لأن معاوية والي الشام انشقّ عليه . بحجة المطالبة بالقصاص من قتلة عثمان . ولم يكن ذلك بوسع علىّ ، فأشاع معاوية أن علىًّا يحمى قتلة عثمان !

ـ فى ذلك المناخ الملتهب ازدهرت المفاضلات بين «علي» و«أبى بكر» ، واختلط الحابلُ بالنَّابِلِ ، والأخبار الزائفة بالأخبار الصحيحة . وبرع بعض المزورين لحساب علىٍّ ، وآخرون لحساب أبى بكر ، ولم يكن الإمامان بحاجة إلى شىء من ذلك ! وفى ذلك المناخ ظهرت الشيعة ـ أنصار علىّ ـ كحزب دينى وسياسى .

---

(١) الميلانى ، قادتنا جـ٤ صـ ٣٩١

obeikandl.com

وفي اعتقاد الشيعة أن مسألة الإمامة هي :« أشرف المسائل التي يحصل بسبب إدراكها نيل درجة الكرامة . وهي أحد أركان الإيمان المستحق بسببه الخلود في الجنان والتخلص من غضب الرحمن »[١] **وعند أهل السنة هذا خطأ بل هو كفر ! «فإن الإيمان بالله ورسوله أهم من مسألة الإمامة . وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام»[٢] ولو كانت مسألة الإمامة أشرف المسائل لذُكرت في القرآن الكريم غير مرة ، ولكن القرآن مملوء بمسائل أخرى ، فكيف يكون القرآن مملوءاً بغير الأهم والأشرف ؟»** « وإن أصول الدين عند الإمامية أربعة : التوحيد والعدل والنبوة والإمامة » فكيف تكون الإمامة أشرف من الأصول الأخرى؟ »[٣]

● من الأفضل ؟

وقد كان الغرض الثابت للمجادلات بين الإمامية والفرق الأخرى هو إثبات أحقية علي بن أبي طالب في منصب الخلافة ، بعد النبي ﷺ . وقد تراكمت الأخبار والشهادات في التراث الإسلامي بعضها يُعَلِّي من قدر أبي بكر وبعضها يعليّ من قدر علي ، دون تمييز بين المناقب والمآثر التي يجب أن يكون لها وزن في التقدم لمنصب الإمامة ، وما ليس لها دخل في ذلك .

ـ والآن ، يجب على الباحث الحديث أن يتوقف أمام ذلك التراث ، ويفحص بكل موضوعية ممكنة مواقف الخلفاء الراشدين . ومن البدهيّ أننا لن نستطيع أن نغير وقائع التاريخ ونرتب الخلفاء ترتيباً مغايراً ، لكننا نستطيع أن نصحح أفكارنا ، وتبعًا لذلك نخفض من حدة الخلاف بين أبناء الأمة .

فكون أبي بكر أصهر لرسول الله ﷺ ، فذلك شرف عظيم له إذْ صارت ابنته أم المؤمنين ، وقرَّبته من زوجها . لكن هذا لا يمكن أن يُحسب في الميزان عند الاختيار لمنصب الخليفة . وقد تزوج النبي ﷺ تسع نساء . فلم يُعتبر ذلك مسوغاً لمطالبة أحد من أصهاره باعتلاء منصب الخلافة الرفيع ، لا بعد وفاته عليه السلام ولا بعد وفاة أبي بكر أو بعد مقتل عمر وعثمان .

(١ ، ٢ ، ٣) ابن تيمية ؛ منهاج السنة النبوية ، جـ١ ص٢٣ ؛ ص٣٠

وهذا يصْدق على عمر بن الخطاب أيضاً . فإذا كان تولى المنصب بعهد من أبى بكر ، فإن أبا بكر لم يقل للناس إننى اخترته لأنه صهر رسول الله وابنته أم المؤمنين !

ـ وأما عثمان فقد حظى بالزواج ببنتين من بنات النبى ﷺ . ولكن ذلك الإصهار لم يكن هو الذى أهَّله للمنصب بعد وفاة عمر .

ومرة أخرى ، هذا الكلام يصْدق على علىّ بن أبى طالب . فزواجه من فاطمة الزهراء رضى الله عنها شرف عظيم له ، لكن ذلك لم يكن هو السبب الذى أَهَّلَهُ للخلافة بعد مقتل عثمان .

ويجب أن نقول مثل هذا الكلام عن أسباب عديدة للتفضيل ذكرها أنصار أبى بكر وعلى . ومن ذلك مثلاً كثرة الصلاة ، والصدقة .

وتجاوز كثير من المتحمسين حدود المشروع والمعقول جميعاً ! فهذا كاتب معاصر يكتب على الإنترنت أن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه (أحد كبار الصحابة الذين وقفوا فى صف علي) :« **كان يعلم بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة**»(١)

ونحن نعلم أن علم الغيب لله وحده ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾ [الجن:٢٦-٢٧] وذكر المتحمسون لعلي أنه لما برز إليه « مَرْحَب » اليهودى يوم خيبر ضَرَبَهُ علىٌّ ضربة واحدة فشقه طولاً ، وشق الفرس عرضاً ، ونزل السيف فى الأرض ذراعين أو ثلاثة !

والحق أن بطولة علي وشجاعته لا تحتاج إلى هذه المبالغات بحال ، وربما أضيرت بسبب ذلك لأن القارئ المثقف سوف يتشكك فيها وفى الأخبار الصادقة التى تحدثت عنها .

---

(١) السيد صدر الدين القبانجى ؛ تاريخ التشيع الفكرى والسياسى ؛ ص٥٥

obeikandl.com

ويستشهد بعضهم على تفضيل أبى بكر بقول النبى ﷺ :« سدوا الأبواب إلا باب أبى بكر»(١) فما صلة هذا بالترشيح للخلافة ؟ لا صلة غالباً ، وإنما هى على الأرجح حاجات الدولة الناشئة التى تتطلب التيسير على وزير النبى فى الاتّصال به مع توفير الهدوء الذى لم يكن ليتحقق مع وجود أبواب كثيرة للمسجد يدخل منها الناس ويخرجون . ولنتذكر أن أبا بكر كان يدخل على ابنته عند رسول الله لا على امرأة غريبة ، فلا داعى لإغلاق الباب الذى يصل بينه وبين النبى ﷺ .

ـ وأَمَرَ رسول الله ﷺ أيضاً بترك باب علي مفتوحاً . ولا دخْل لهذا بالترشيح للخلافة ، ولكنه إشارة إلى وحدة الأسرة بين البيتين . وهل كان يمكن أن يُسَدَّ باب ليمنع الزهراء رضى الله عنها من رؤية أبيها ﷺ فى كل حين تشاء ؟

المطلوب إذن التمييز بين الأخبار والحقائق التى توحى بالترشيح للخلافة وبين الأخبار العديدة التى تتحدث عن صلة النبى ﷺ بصحابته الكرام رضى الله عنهم جميعاً .

فى اعتقادى أن الذى جمع الأمة حول أبى بكر عدة أسباب أساسية .

ـ فقد كانت لأبى بكر مكانة مرموقة بين القرشيين قبل الإسلام . يقول ابن هشام :« وكان أبو بكر رجلاً مَألفًا لقومه مُحبباً سهلاً . وكان أَنْسَبَ قريش لقريش، وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر . وكان رجلاً تاجراً ذَا خُلُق ومعروف . وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد مَن الأمر : لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته، **فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام مَنْ وَثَق به من قومه ممن يغْشَاه ويجلس إليه» «فأسْلم بدعائه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله» ؛«فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ »**(٢)

ـ فهؤلاء هم أعلام الصحابة وكبار رجالات قريش فى الجاهلية ينبذون عبادة الأصنام ، ودين الآباء والأجداد ، ويقبلون الدين الجديد الذى أقنعهم به أبو بكر .

---

(١) سيرة ابن هشام : ١ / ٢٥٠ـ٢٥١

(٢) فتح البارى : كتاب فضائل الصحابة ـ رقم ٣٦٥٣ـ ٧ / ١٢

فهذه إذَنْ شخصية قيادية فذة قادرة على خدمة الدعوة فى تلك الفترة الباكرة من انطلاقها . **فليس المهم أن يكون ترتيب أبى بكر فى الدخول فى الإسلام الأول أو الثانى أو الثالث ، ولكن المهم هذه المكانة المرموقة المؤثرة فى نصر الدين الجديد . وفضلاً عن هذا كان لأبى بكر السبق فى تصديق النبى ﷺ فى فجر الدعوة وعلى امتداد مراحلها** . وفى هذا يقول النبى ﷺ :« إن الله بعثنى إليكم فقلتم : كَذَبْتَ ! وقال أبو بكر : صَدَقَ ! وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لى صاحبى ؟ »(مرتين) [١] ولم يستحق أبو بكر لقب الصديق إلا من هذا اليقين التام بصدق النبى ﷺ ومن بَذْله المال والجهد لنصرته . وقد كان موقفه فى مواجهة منكرى الإسراء حلقة بارزة وباهرة من ذلك اليقين بصدق محمد ﷺ ، وقد ألقمهم حجراً بكلمته الخالدة :« إن كان قال فقد صدق ! »

ويشهد له النبى ﷺ بالتضحية بالمال فيقول :« إن مِنْ أَمَنِّ الناس علىَّ فى صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنتُ متّخذاً خليلاً من أمتى لاتّخذت أبا بكر ، إلا خلّة الإسلام »[٢] وفى رواية أخرى :« ولكنْ أخى وصاحبى »[٣] وفى حديث آخر قال : « إنه لم يكن نبى قبلى إلاّ وقد كان له من أمته خليل ، ألاَ وإن خليلى أبا بكر »[٤]

وقد مَنَح النبى ﷺ شرف الصحبة فى الهجرة لخليله أبى بكر . وقصة الهجرة معروفة . وقد كان أبو بكر يتجهز للهجرة كسائر المسلمين فقال له النبى : « على رِسْلِك ! فإنِّى أرجو أن يؤذَن لى » فقال أبو بكر : وترجو ذلك بأبى أنت وأمى ؟ قال :« نعم » فَحَبَسَ أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ، وَعلف راحلتيْن كانتا عنده من ورق السَّمُر أربعة أشهر »[٥]

---

(١) فتح البارى : كتاب فضائل الصحابة ؛ رقم ٣٦٦١ـ ٧ / ١٢

(٢) نفسه ؛ رقم ٣٩٠٤ (٣) نفسه ؛ رقم ٣٦٥٦

(٤) طبقات ابن سعد ١ / ٣٢٠

(٥) مسند أحمد (الفتح الربانى) ؛ رقم ١٤٤

إذَنْ : كان أبو بكر هو الرجل الثقة الجدير بصحبة رسول الله ﷺ فى رحلة الهجرة إلى يثرب بكل ما تتطلبه من استعدادات ومتطلبات وتضحيات .

وبعد أربعة أشهر جرت فيها أحداث كثيرة انطلق الرجلان إلى « غار ثور » حيث مَكَثَا ثلاث ليالٍ . وحاول المشركون العثور عليهما ، وذهب بعضهم إلى « غار ثور » واقتربوا منهما جداً حتى قال أبو بكر:« لو أن أَحَدَهم نظر إلى قدميه لأبصرنا ! » فقال عليه الصلاة والسلام :« يا أبا بكر !ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ » (١)وفي تصوير ذلك الحدث العظيم يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ **إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا** ﴾ [التوبة : ٤٠]

هذه الصحبة الشريفة هى التى أخذت فى الحسبان حين فكر المسلمون فى بيعة الرجل خليفة لنبيهم .

● نقد شيعى لأبى بكر

لكن غلاة النقاد الإمامية لا يعترفون بأية منقبة للصديق رضى الله عنه ، بل يقلبون كل منقبة إلى منقصة ! ولهم فى هذا التزوير شناعات مزرية ! من ذلك أن مكارم الشيرازى يصور صحبة أبى بكر للنبى ﷺ فى رحلة الهجرة على أنها تثبت جُبن أبى بكر! فيقول المزور الشيرازى :« وأما أبو بكر فقد خرج مع النبى الأكرم ﷺ ، وتخلص من الخطر ، ولجأ إلى غار ثور . وعندما سمع صوت أقدام الأعداء الذين خرجوا من مكة فى أثر النبى ، **اصفر لونه ، وملأ الخوف والرعب قلبه ووجوده ، بحيث يمكن إدراك ذلك بنظرة بسيطة إلى وجهه** . ولهذا بدأ النبى ﷺ بتسليته ليزيل بعض الوحشة والخوف الذى سيطر عليه »(٢)

ونحن نتساءل : من أين جاء الكاتب بهذا الخبر؟ وهل خرج أبو بكر إلى غار ثور من تلقاء نفسه ، أو هرباً من الخطر ، أم باختيار النبى له دون سائر الصحابة ؟ وهل اختاره النبى لثقته فيه أم لأنه جبان رعديد ؟ وهل رأى الكاتب المزور وجه أبى بكر ؟ هل عثر على وَصْفٍ وَصَفَهُ به النبى ، الذى لم يره ساعتها غيره ؟

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ؛ كتاب فضائل الصحابة .

(٢) آيات الولاية فى القرآن ؛ ص٢١٦

لا جواب عند ذلك الكاتب الكاذب الدعي . وأما الحقائق المسجلة فى السيرة النبوية فتقول **إن الصديق دخل غار ثور قبل دخول النبى لينظر أبه ضبع أو حَيَّة ، ليقى رسول الله ﷺ بنفسه . وفى أثناء الرحلة كان أبو بكر إذا خاف الكمين على النبى سبقه ليقيه خطره ، وإذا خاف الطلب تأخر عنه ليكون له ظهيراً.**(١) وإن مواقف الصديق فى مواجهة أدعياء النبوة والمرتدين لهى الدليل الساطع على شجاعته ، وعلى افتراء ذلك الناقد الكذوب !

● أبو بكر يصلى بالناس

ومن أهم الأدلة على استحقاق أبى بكر بخلافة رسول الله ﷺ أمره له أن يصلى بالناس حال مرضه . وقد ورد الخبر بهذا الأمر بعدة طرق . (٢)

فعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت :« أُذن النبى ﷺ بالصلاة فى مرضه فقال : مُرُوا أبا بكر يصلى بالناس » فقلت : يارسول الله . إن أبا بكر رجل رقيق لايُسْمعُ الناس ، فلو أَمَرْتَ عمر ! قال :« إنكن صواحب يوسف ! مُرُوا أبا بكر فَلْيصل بالناس ، فَرُبَّ قائلٍ ومتمنٍّ ويأبىَ الله والمؤمنون »(٣)

ـ ويقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إنه كان فى القوم من هو أقْرأُ من أبى بكر ، وإنما أراد النبى الدلالة على ترشيحه للخلافة . (٤) **ولقد سأل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الحسن البصرى رحمه الله :«هل كان رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر ؟» قال : نعم ، والله الذى لا إله إلا هو استخلفه ! لهو أَتْقَى من أن يتوثَّبَ عليها !»وقال ابن المبارك ـ رحمه الله ـ :«استخلافه هو أمره أن يصلى بالناس ، وقد صلى بالناس طوال مدة مرض النبى الأخير وصلى خلفه كبار الصحابة رضى الله عنهم .** (٥)

---

(١) سيرة ابن هشام ؛ جـ١ ص٢٨٦
(٢) طبقات ابن سعد ؛ ١ /٣٠٨
(٣) نفسه ؛ ١ /٣١٣
(٤) ابن الجوزى ؛ مناقب الإمام أحمد بن حنبل ؛ ص٢٠٩
(٥) منهاج السنة النبوية ؛ ١ /١٣٨

obeikandl.com

ولكن لماذا لم يكتب لأبى بكر عهداً بالخلافة ؟

يجيب ابن تيمية رحمه الله على هذا السؤال فيقول :« والتحقيق أن النبى ﷺ دَلَّ المسلمين على استخلاف أبى بكر وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخباراً ، راضٍ بذلك حامد له ، وعزم علي أن يكتب بذلك عهداً ، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه ، فترك الكتاب اكتفاء بذلك »(١)

لكن ابن تيمية لم يورد الدليل على أن النبى ﷺ «عزم» على كتابة عهد ! ولا دليل على ذلك غير الخبر الصحيح . **أما أن النبى قد دَلَّ المسلمين على استحقاق أبى بكر بخلافته فتشهد على صحته أخبار عديدة ربما أهمها على الإطلاق إصراره على أن يؤُم الناس طوال فترة مرضه الأخير** دون غيره من الصحابة .

وفي اعتقادي أن النبى ﷺ أراد أن يختار المسلمون إمامهم بأنفسهم ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى:٣٨] وألاَّ يكون للإمام تحديد اسم خليفته بغير رضا الأمة .

● شرط المشيخة

والأمة لا تبايع عن رضا إلا رجلاً تعرف فيه القدرة على قيادتها وفق تعاليم دينها ، وله فى قيادتها خبراته الطويلة ، العملية ، والسياسية والإدارية . ويدخل فى هذا «**السِّن**» أو«**المشيخة**» ، بحيث لا يُقبل للترشيح للخلافة إلا ذوى الأسنان . ولقد وجدنا أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه القائد البطل لجيوش المسلمين فى اليرموك يحاول لَفْتَ نظر علي بن أبى طالب إلى هذا الشرط ويقول :«**يا أبا الحسن ! إنك حَدَث السِّن ، وهؤلاء مشيخة قريش ، قومُك ، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور ، ولا أرى أبا بكر إلاّ أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالاً له واضطلاعاً به . فَسَلِّم له الأمر وارْضَ به ، فإنك إن تَعش ويطلْ عمرك ، فأنت لهذا الأمر خَليق وعليه حقيق ، فى فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك**»(٢)وقد طال عمر على واكتسب خبرات القيادة وصار إماماً عظيماً .

ويلاحظ عباس محمود العقاد هذا الشرط فى تفسير بيعة المسلمين لأبى بكر دون علي فيقول **إن عليًّا عند وفاة النبى لم يكن من مشيخة الصحابة التى تؤول**

---

(١) نفسه . (٢) تاريخ التشيع الفكرى ؛ ص١٦١

إليها الرئاسة بداهة بين ذوى الأسنان ممن مارسوا الشورى والزعامة فى حياته عليه السلام ، لأنه كان يومئذ فَتى يجاوز الثلاثين بقليل ، وكان أبو بكر وعمر وعثمان قد لبثوا فى جوار النبى بضع عشرة سنة قبل ظهور علي فى الحياة العامة ، وهم يشيرون على النبى ويخدمون الدين ويجمعون الأنصار ويُدَان لهم بالتوقير والولاء»(١)

وشرط «المشيخة» تفرضه طبيعة المنصب بما يتطلبه من الخبرات ، ومن التوقير ، كما تفرضه طبيعة الأمة وتقاليدها . ومعروف أن العرب فى جا هليتهم وإسلامهم كانوا يقدمون ذوى الأسنان على من هم أصغر منهم ، ممن قد يكونون «أفضل منهم وأقدر . وفى هذا يقول ابن تيمية :«إنه لابد من قبول الأمة كشرط للخلافة» . ويشرح هذا الشرط بقوله إنه :«لوخطب امرأة رجلان أحدهما أفضل من الآخر ، لكن المرأة تكرهه (أى تكره الأفضل) ، وإن تزوجت به لم تطعه بل تخاصمه وتؤذيه ، فلا تنتفع به ولا ينتفع بها، والآخر تحبه ويحبها ، ويحصل به مقاصد النكاح ، أفليس تزويجها بهذا المفضول أولَى باتفاق العقلاء ، ونص من ينص على تزويجها بهذا أَوْلَى من النص على تزويجها بهذا ؟ فكيف يضاف إلى رسول الله مالا يرضاه ظالم أو جاهل ؟»(٢)(يقصد الزعم بأن النبى أوصى بالخلافة لعلي)

وتوكيداً لصحة شرط المشيخة نذكر أن علي بن أبى طالب ، بعدحوالى عشرين سنة من يوم تولى أبى بكر الخلافة ، كان قد اكتسب خصائص المشيخة ، من خلال مشاركاته الإيجابية القيادية مع الخلفاء الثلاثة الأول ، ولذلك وجدنا أهل الشورى يُهرعون إلى داره بُعَيْدَ مقتل عثمان ، يطلبون البيعة له . ومعنى هذا بدهىَ أعنى أن المفضول ، بسبب حداثة سنِّه وقلة خبراته ، يصبح الأفضل بعد أن تتاح له الفرصة والوقت اللازمين لاكتساب خصائص المشيخة القيادية القادرة على نيل احترام الأمة . وقد كانت كثافة مشاركة أبى بكر وعمر للنبى ﷺ ملحوظة ومشاهدة ، فيقول علي : إنِّى كنتُ أكثر أن أسمع رسول الله ﷺ يقول: فذهبتُ أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر»(٣) فكانت فرصة أبى بكر وعمر واسعة لِيَنْهَلاَ من حكمة النبى ﷺ وتعليمه ، نظراً

---

(١) عبقرية علي ؛ ص ١٠٠ (٢) منهاج السنة النبوية ؛ ١/١٤٨

(٣) الفتح الربانى ؛ رقم ٢٠٣-٢٣/٩٢

وعملاً ، منذ فجر الدعوة ، حتى لحق رسول الله بالرفيق الأعلى ، وقد بلغت ثلاثة وعشرين عاماً كاملة . أما علي فكان فى سنٍ لا تسمح له بتلقى دروس القيادة العليا إلاَّ فى السنوات العشر الأخيرة من حياة النبى فى المدينة ، أما الفترة المكية فقد تلقى فيها التربية الدينية والأخلاقية والعسكرية التى أهَّلتْه للبطولات القتالية المشهورة .

هذه هى الخصائص الفريدة التى أهَّلت أبا بكر الصديق لمنصب خلافة النبوة : المكانة المرموقة ، واليقين المطلق بصدق النبى ، والتضحية بالمال والجهد والوقت ، والصحبة الكثيفة الحميمة ، والتفويض لإمامة الصلاة ، والمشيخة الحكيمة الوقورة .

ولم تمض أيام حتى أدرك المسلمون أنهم بايعوا الرجل الجدير بالمنصب . فقد كان ظهور الأنبياء الكَذَبَة ، وَرِدَّة بعض القبائل ، وامتناع البعض عن أداء الزكاة ، الاختبار الأول للقيادة الجديدة . وظهر العزم والحسم فى أَجْلَى صُوَرِه ، ولم يتردد أبو بكر لحظة فى إعلان الحرب ضد المرتدين ومانعى الزكاة . وكان الوضع ملتبساً فى شأن مانعى الزكاة خاصة ، لأنهم لم يعلنوا رِدَّتَهم ، وبَقُوا على ما أسلموا عليه . لهذا ظن عمر بن الخطاب أنه لا يجوز قتالهُم . لكن الخليفة العظيم لم يتردد فى الأمر وقال :« والله لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرّقَ بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ! والله لو منعونى عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لَقَاتَلْتُهم على منعه »[1] لقد كان تمرداً ينذر بانهيار الأمة[2] ونَبْذ سُنَّة نَبِيهَا والتنصل من أحكام قرآنها . ويقول« النووى » : إن موقف الصديق يدل على علمه ، وعلى شجاعته ، وإنَّ ثباته فى وجه ذلك الموطن الحرج هو أكبر نعمة أنعمها الله تعالى على أمَّته بعد رسول الله ﷺ . »[3] وقال الدكتور ضياء الدين الريس :« إن مواجهة المرتدين من أعظم الأعمال فى تاريخ الإسلام »[4] وهذا حق لا مبالغة فيه .

---

(١) مسلم بشرح النووى ؛ ١ / ٢٠٧

(٢) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١١هـ ٣ / ٣٠١

(٣) نفسه ؛ الشرح ؛ ١ / ٢١١-٢١٢

(٤) الإسلام والخلافة فى العصر الحديث ؛ ص ٣١٥

● علم الصديق

وكان علْم أبى بكر الواسع الدقيق بالإسلام سنداً له فى قيادة الأمةوانقياد كبار الصحابة لفتاواه وثنائهم عليه . فيذكر ابن تيمية أن :« الصحابة فى زمن أبى بكر لم يكونوا يتنازعون فى مسألة إلاّ فَصَّلها بينهم أبو بكر ، وارتفع النزاع ، فَلاَ يُعرف فى زمانه مسألة واحدة تنازعوا فيها إلاّ ارتفع النزاع بينهم بسببه »(١) ومن تلك المسائل : تنازعهم فى وفاة النبى ﷺ ، وفى مدفَنه، وفى ميراثه ، وفى تجهيز جيش أسامة ، وفى قتال ما نعى الزكاة . وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :« اقتدوا باللذين من بعدى : أبى بكر وعمر »(٢) بعد أن تخرجا من مدرسته !

وقال أبو هريرة رضى الله عنه :« والله الذى لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استُخلفَ ما عُبِد الله ! »(٣) يشير بهذا إلى تفشى حركة الردة بين القبائل ، وحتى مكة نفسها !

ويقرر الإمام النووى ، شارح صحيح مسلم ، رحمه الله ، أن وقفة أبى بكر الخالدة ضد المرتدين ومدعى النبوة ومانعى الزكاة :« أدل دليل على شجاعة أبى بكر رضى الله عنه ، وتقدمه فى الشجاعة والعلم على غيره . فإنه ثبت للقتال فى ذلك الموطن العظيم الذى هو أكبر نعمة أنعم الله تعالى بها على المسلمين بعد رسول الله ﷺ واستنبط رضى الله عنه من العلم ، بدقيق نظره ، ورصانة فكرة ، ما لم يشاركه فى الابتداء به غيره . فلهذا وغيره ، أجمع أهل الحق على أنه أفضل أمة رسول الله ﷺ »(٤)

● اتهام شيعى كاذب !

وبسبب اعتقاد الشيعة الإمامية أن أبا بكر حَرمَ عليًا من حقه فى الإمامة ، وجدناهم يكنون كراهية لاحد لها لأبى بكر ، ويحاولون النيل منه بكل الطرق غير المشروعة !

---

(١) الفتاوى الكبرى ؛ ١ / ٣٦٨

(٢) الفتح الربانى ؛ أبواب ما جاء فى خلافة الخلفاء الراشدين رقم ١٢٨-٢٣ / ٥٥

(٣) ابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ جـ ٦ ص٢٩٨

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ؛ جـ١ ص٢١١-٢١٢

ـ وهذا مثال صارخ وفاحش لكاتب كذاب يزعم أن أبا بكر وعمر وأبا عبيدة كانوا يشربون الخمر فى بيت أبى طلحة ! ويخدع القارئ الطيب فيحيله على كتاب «فتح البارى فى شرح صحيح البخارى» للإمام الحافظ ابن حجر ! وليس من المرجح أن يراجع القارئ ذلك الخبر فى «فتح البارى» الذى لا يقتنيه إلا قلة من العلماء . وكان من الطبيعى أن أراجع أنا ذلك الاتهام الشنيع فى «فتح البارى» . وكما توقعت لم أجد حرفاً واحداً عن ذلك المجلس الذى شرب فيه كبار الصحابة الخمر فى بيت أبى طلحة !

فنحن إذَنْ بإزاء كاتب كاذب مزور ، بلغت به الجسارة اتهام الصديق والفاروق وأبى عبيدة بشرب الخمر ! (١)

وعلى هذا أقول إن إعادة نشر كتاب «ليالى بيشاور» للشيرازى هو عمل عدائى لتيار التقريب بين الشيعة والسُّنَّة . إنه إعادة إنتاج مذاهب الغلاة ، وواجبنا دفن تلك الأكاذيب لا إعادة نشرها .

● على يرضى

وقد سُئِلَ ابن عمر رضى الله عنهما :«مَنْ كان يفتى فى الناس فى زمن رسول الله ﷺ ؟ فقال : أبو بكر وعمر ، ما أعلم غيرهما» (٢)

ولا ريب أن على بن أبى طالب لم يكن راضيًا بإمامة أبى بكر ، كما سبق أن بيَّنَّا . لكن أخباراً عديدة تشير إلى زوال ذلك الغضب الذى شعر به عند تقلد أبى بكر المنصب دونه . فيبدو لى أن مرور الأيام وحُسْن معاملة أبى بكر لعلي ولأولاده قد غيرت موقفه من خلافة أبى بكر أولاً ثم عمر من بعده . وقد انخرط عليٌّ فى الحياة العامة وقيادة الأمة فى عهود الخلفاء الأول الثلاثة . إن هذا هو ما يفسر الأخبار العديدة عن تقدير علي لأبى بكر وعمر ، من ذلك مثلاً ما رُوى عن أبى جُحيفة قال : سمعت عليًّا رضى الله عنه يقول : ألاَ أخبركم بخير هذه

---

(١) ليالى بيشاور ؛ للشيرازى / ص٣٢٩

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ؛ ٢ / ٤٦٨

obeikandl.com

الأمة بعد نبيها ؟ أبو بكر ! ثم قال : ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبى بكر ؟ : عمر رضى الله عنه »[١] وقد وردت روايات أخرى فى مصادر مختلفة بهذا المعنى[٢]. وهى تدل على سموٍّ خُلق علي وكبر نفسه وصفاء قلبه .

ـ وقد صلى علي يوماً خلف أبى بكر صلاة العصر ، ثم خرجا معاً ، فرأى أبو بكر الحسن بن على يلعب مع الصبيان ، فحمله على عاتقه وقال : بأبى ! شبيهُ بالنبى لا شبيهُ بعليٍّ ! وعلي يضحك ! »[٣] هكذا حَلَّت المودة بين الإمامين العظيمين .

وورث أولا د علي وأحفاده تقديره لأبى بكر . فيذكر أن الإمام الباقر رضى الله عنه كان يستشهد بأعمال أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . من ذلك أن عروة بن الزبير سأله عن حِلْية السيوف فقال : لا بأس بها . قد حَلَّى أبو بكر الصديق رضى الله عنه سيفه ، قال : قلت : وتقول : الصديق ؟! قال : فوثب وثبة ، واستقبل القبلة ، ثم قال : « نعم الصديق فمن لم يقل له الصديق فَلاَ صَدَّقَ الله له قولاً فى الدنيا والآخرة ! »[٤]

● حب أهل السنة لعلى وبنيه

وعلى الرغم من اتساع شقة الخلاف بين أهل السُّنة والشيعة فى الأصول والفروع ، واندلاع المعارك بين علي ومعاوية ، واضطهاد بنى العباس لأبناء علي ، وعلى الرغم من معارك الفاطميين والأيوبيين ، والعثمانيين والصفويين ، **فقد ظل حب أهل السُّنَّة لعلى ولآل بيت النبوة ينمو مع الزمن** ، ولا تنال منه تلك العواصف العنيفة قيد أُنملة . ويخطئ كل من يزعم أن أهل السُّنَّة أيدوا معاوية ! أجَل؛ بعض أهل الشام انخدعوا بتأويلات الأمويين عن مقتل عثمان وإيواء علي لقتلته ، ولكن تلك الفئة لا تمثل أهل السُّنَّة . إنهم أنصار معاوية وبنى أمية . **وأهل السُنة على امتداد التاريخ كانوا مع الحسن والحسين ضد معاوية وضد يزيد**

---

(١) الفتح الربانى ؛ رقم ١٢٩ ؛ ص٢ / ٥٦

(٢) ابن تيمية ؛ جامع الرسائل ؛ المجموعة الأولى ؛ ص٢٦١

(٣) فتح البارى ؛ كتاب المناقب ؛ رقم ٣٥٤٢ ـ ٦ / ٥٦٣

(٤) أبو زهرة ؛ الإمام الصادق ؛ فقرة رقم ١٦٩

وعامة ملوك بنى أمية ، باستثناء الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، الذى حاز التقدير والحب من جميع أهل السُّنة والشيعة على السواء . ويسلِّم الجميع بجدارة عمر بن عبد العزيز بلقب « الخليفة الراشد » ، لكن أحداً لم يسمح بإطلاق لقب الخليفة الراشد على معاوية أو على أى حاكم أُموى آخر ، لأنهم كانوا مبتزين لاخلفاء شرعيين . (١)

ولهذا دهشْت حين قرأت لأحد الكتاب الشيعة المعاصرين مقالاً يزعم فيه أن أهل السُّنَّة زوروا الخبر عن مبيت عليٍّ مكان رسول الله ﷺ ليلة الهجرة ، فقالوا **إن عليًّا « بَالَ » فى فراش النبى** بدلاً من « بَاتَ » فيه !

ـ وشعرت بالاشمئزاز والغضب ، لا لاتهّام أهل السُّنَّة زوراً ، ولكن للعبث بسيرة النبى ودَوْرِ علي الشجاع فى تعريض نفسه لخطر القتل . **وراجعت الخبر فى كل ما أعرف من مصادر السيرة والسُّنة والتاريخ فلم أعثر على لفظ « بات » ولا على لفظ « بال » فى أى مصدر !**

إن سيرة على بن أبى طالب مسجلة فى مصادر أهل السُّنة جميعاً ودون استثناء بكل تقدير وحب واحترام ، لأن شخصية ذلك الخليفة الراشد المجاهد تستحق ذلك . وأخبار **علي** منذ صباه فى بيت النبى ﷺ مسجلة ، مُفَّصلة ، مشروحة ، فى كل مصادر تاريخهم ، ويفخربها كل مسلم غيور على الإسلام .

لكن مواقف بعض المؤلفين الشيعة من الخلفاء الثلاثة الأول كانت سلبية ، ولا تتفق مع موقف إمام الشيعة الأول رضى الله عنه ، فاستمرت أساليب التجريح والتكفير والسباب ، لدى الغلاة من الشيعة خاصة .

وفيما يلى أعرض لبعض المآخذ الشيعية التى ترددت حول مشروعية بيعة أبى بكر الصديق ، وهو موضوع هذا الباب من دراستى هذه ، وأدع بقية المسائل لتناقش فى أبوابها .

● ألم يُجمع المسلمون على بيعة أبى بكر ؟

قال مؤلف كتاب : « منهاج الكرامة فى معرفة الإمامة » فيما نقله عنه ابن تيمية :

---

(١) هذا رأى الشافعى ؛ انظر « آداب الشافعى ومناقبه » ص١٩١

« إن بيعة أبى بكر لم تكن موضوع إجماع فإن جماعة من بنى هاشم لم يوافقوا على ذلك ، وجماعة من أكابر الصحابة : كَسَلْمان وأبى ذر والمقداد وعمار وحذيفة وسعد بن عبادة وزيد بن أرقم وأسامة بن زيد وخالد بن سعيد بن العاص .. وبنو حنيفة كافة ، ولم يحملوا الزكاة إليه ، حتى سَّماهم أهل الردة ، وقَتَلَهم ، وَسَبَاهم ، فَأنكر عمر عليه ، ورد السبايا أيام خلافته »

ويرد ابن تيمية على هذا النقد فيذكرنا أولاً بأن بنى حنيفة لم يكونوا من أهل السقيفة ولا من أهل المدينة ، بل هم من أهل اليمامة الذين ارتدُّوا واتبعوا مسيلمة الكذاب ، فقاتلهم أبو بكر بُعَيْدَ توليةَ الخلافة .

ـ وأما الذين امتنعوا عن إيتاء الزكاة فكانوا من غير بنى حنيفة .

ـ ولم يعترض عمر بن الخطاب ، ولا أى صحابى على قتال مسيلمة الكذاب وأتباعه ، لكن اشتبه عليه الأمر فى قتال مانعى الزكاة ، ثم لم يلبث أن تبيَّن صحة موقف أبى بكر ، وَأَيَّده .

ولم يتأخر عن بيعة أبى بكر يوم السقيفة إلا سعد بن عبادة والحباب بن المنذر والأسباب معروفة من أخبار يوم السقيفة ، والرد عليها أُعلن يومها . (١)

ولم يتحرك أسامة بن زيد وجيشه إلا بعد أن بايعوا أبا بكر ، وتردد علي بن أبى طالب وبعض بنى هاشم ، لكنهم بايعوه بعد ستة أشهر بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها ، ووقف عليٌّ دائماً سنداً قوياً لأبى بكر .

ويقرر ابن تيمية أنه :«لا يشترط فى الخلافة إلا اتفاق أهل الشوكة والجمهور الذى يقام بهم الأمر ، بحيث يمكن أن تقام بهم مقاصد الإمامة» (٢)

ومن البدهى أن الإجماع الكامل الشامل فى مسألة كبيرة كالإمامة لا يمكن أن يحدث ، وَلَسَوْف يعترض بعض الناس ويرفضون ، وسوف يرشح بعض الأفراد أنفسهم وربما أيدهم بعض رجال قبائلهم . والمهم أن يبادر القادة الكبار والزعماء وأهل الرأى والشورى بالبيعة ، وهم الذين يُسمُّون « أهل الشوكة » عندئذ تنعقد الإمامة ، لأن المرشح يكتسب القوة والقدرة من تأييدهم فى القيام بمهامِّه ، ثم

---

(١) راجع صـ ٢٠ من هذه الدراسة .

(٢) منهاج السنة النبوية ؛ ٤ / ٢٢٧

يتتابع الناس على البيعة ، إلا المعارضون . ونحن نرى اليوم فى الدول الديموقراطية كيف يفوز المرشح على منافسِهِ بعدد صغير من الأصوات ، ولا يطعن أحد فى مشروعية رئاسته .

ـ ومن المعرروف للكافة أن بيعة علي بن أبى طالب بالذات كانت موضع خلاف كبير ، وأن الرافضين لخلافته أكثر كثيراً من الذين خالفوا بيعة أبى بكر .

وبعض الصحابة اعترض على العهد لعمر . واعترض بعضهم على البيعة لعثمان ، وكان علي أكبر المعارضين . فهذا هو الوضع الطبيعى لأحوال الناس حين ينظرون فى مثل هذه المسائل الكبرى وينحسم الموقف عادة ، وتتم البيعة للإمام ويتمتع بالمشروعية الإسلامية ويمارس واجباته . **فالنقد الموجه إلى بيعة أبى بكر وسائر الخلفاء الراشدين لا أساس له وإنما أَمْلَتْه الأحقاد والضغائن والجهل بحقائق الأمور .**

● بيعة أبى بكر لم تتم على رأى صحيح

ويقول المؤلف الشيعى لكتاب « منهاج الكرامة » إن بيعة أبى بكر لم تقع على رأى صحيح ، وهو يستشهد على صحة نقده بقول عمر بن الخطاب إن بيعة أبى بكر كانت فلتة .

والحق أن عمر بن الخطاب قال يوماً فى خطبة له :« إنه قد بلغنى أن قائلاً منكم يقول : والله لو مات عمر بايعْتُ فلاناً ! فَلاَ يَغْتَرَّنَّ امرؤ أن يقول : إنما كانت بيعة أبى بكر فَلْتَة ! ألاَ وإنها كانت كذلك ، ولكن قد وَقى الله شرها . وليس فيكم مَن تقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر (١) . مَنْ بايع رجلاً ـ من غير مشورة المسلمين ـ فلا يبايعَ هو ولا الذى بايعه تَغِرَّة أن يُقتلا . »

ـ ويشرح ابن تيمية كلام عمر فيقول إن بيعة أبى بكر تمت دون استعداد ، ولأن أبا بكر كان مُتعيِّنًا لها ، لم تكن هناك حاجة لأن يجتمع الناس ، فكلهم يعلم أنه الأحق بها . فمن بايع رجلاً دون مشورة المسلمين استحق القتل ! لأن ذلك

---

(١) هذا كناية عن مكانة أبى بكر الفريدة .

يفضى إلى الفتنة . وعمر لم يسأل الله الوقاية من شرها ، لأنها كانت خيراً للجميع وقد مضى عليها زمان طويل ، بل سأل الله الوقاية من الفتنة فى مستقبل الأيام .(١)

ـ حقاً ، بيعة أبى بكر كانت نعمة ، لأن أخطار الردة كانت تهدد الدولة فى لحظة خطيرة فارقة ـ لحظة وفاة النبى ﷺ ـ وكانت فترة حُكْمه ، بشهادة الحكماء من رجالات الشيعة الكبار ، فترة ازدهار ، وعدالة ، واستقرار وتمكن ، وفتوحات عظيمة .

وقد تبرأ الإمام جعفر الصادق ـ السادس فى سلسلة الأئمة الاثنى عشر ـ والذى ينتسب من جهة أمه إلى أبى بكر ، من كل المزاعم التى رددها غلاة الشيعة ضد أبى بكر وسائر أصحاب رسول الله ﷺ .(٢) ولا تزال هذه المواقف الصائبة لأئمة الشيعة الكبار تتردد أصداؤها فى كتابات بعض العلماء الشيعة المعاصرين . من ذلك قول كاشف الغطاء عن أبى بكر وعمر إنهما :«بذلا أقصى الجهد فى نشر كلمة التوحيد وتجهيز الجنود وتوسيع الفتوح ، ولم يستأثروا ولم يستبدوا» ولذلك بايعهما عليٌّ ، وسالمهما ، وأَغْضَى عَمَّا كان يراه حقاً له»(٣) وهذا حق بشهادة الثقاة .

● هل شك أبو بكر فى صحة بيعة نفسه ؟

وقد بلغ الغُلوُّ مداه فى زعم أحدهم أن أبا بكر شك فى صحة بيعة نفسه ! وهو يبنى ذلك على أساس خبر زائف يقول إنه عندما حضرت المنية أبا بكر قال : «ليتنى كنت سألت رسول الله ﷺ : هل للأنصار حق فى هذا الأمر ؟» ويُكذِّب هذا الخَبَرَ قولُ رسولِ الله ﷺ : **«الناسُ تبعٌ لقريش فى الخير والشر»** ، الذى كان معروفاً لأبى بكر ولسائر الصحابة . وكذلك حديثه ﷺ : **«لا يزال هذا الأمر فى قريش مَا بقي من الناس اثنان»**(٤) فكيف يجوز أن يشك صحابى فى أن للأنصار حقاً فى الخلافة وهو يحفظ هذيْن الحديثين ؟ لا يجوز طبعاً ! لكن الاستهانة

---

(١) منهاج أهل السنة / ٤ / ٢١٧ (٢) الشهر ستانى ؛ الملل والنحل ؛ ١ / ١٦٦

(٣) أصل الشيعة ،ص١١٣

(٤) أخرجهما مسلم ، الخلافة فى قريش ، جـ ٢ ص ٢٠٠

بالحقائق تجيز حدوث أشياء سخيفة من هذا القبيل ! وفى حسبانى أن حركة التقريب بين أهل السُّنة والشيعة فى أيامنا هذه يجب أن تعيد النظر فى تراث الخلاف بينهما وتعلن بلاموارية بطلان الأباطيل ، وتؤكد دون تردد أو حرج صِدْقَ الحقائق على الجانبين .

ومن المؤسف أن المؤلفين الشيعة المعاصرين ، ودور النشر الشيعية الحديثة لا تزال تتبنى آراء الغلاة القدامى . فأحدهم يستغل حقيقة مشاورة الصديق رضى الله عنه للصحابة ليؤسس على ذلك تفضيل علي ـ المرشد ، الهادى ـ على :« من لا يُهْتَدَى إلا به ! » [1] والحق أن أبا بكر كان أعلم الصحابة بالإسلام ، لكنه كان حريصاً على الشورى ، والتوثق من صحة الأحكام والفتاوى ، وتلك منقبة للصديق رضى الله عنه ، لكن الناقد الشيعى يقلبها إلى منقصة !

وبجسارة ممقوتة ، ونزق أحمق ، يصف الشيرازى كبار الصحابة رضى الله عنهم بالنفاق ، لأنهم بايعوا أبا بكر وتركوا على بن أبى طالب ! ويتمادى النزق حتى يقترب من تخوم النبوة المحمدية ، فيزعم :«أن النبى لم يحرك ساكناً ضد المنافقين !» [2]

● ياللهول !!

إن النبى ﷺ حرص على ألا يقتل المنافقين ، كيلا يقال إن محمداً يقتل أصحابه . هذا حق لكن أحق منه أن النبى جاهد الكفار والمنافقين ، كما أمره الله تعالى بقوله ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ** ﴾ [التحريم : ٩] فالمنافقون أصناف ، بعضهم أعلن إيمانه ، وتظاهر بحب النبى وتأييد المسلمين ، فاعتبرهم العرب من أصحاب الرسول . وهم الذين اجتنب النبى قتلهم . وبعض المنافقين أسلم ، ثم كفر ، وحارب النبى والمسلمين ، وهم الذين وصفهم الله تعالى فى سورة المنافقين، وقال ﴿ **هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴾[المنافقون : ٤]

---

(١) جواد كسار ؛ بحث فى الإمامة ؛ ص ٣٢٠

(٢) آيات الولاية ؛ ص ٢٣٤

ـ فكيف يستجيز مسلم لنفسه أن يقول :«إن النبى لم يحرك ساكناً ضد المنافقين» وهو يزعم أنه من أتباع آل البيت النبوى الشريف ؟!

● صفوة القول إذَنْ ...

إن الانتقال من حكم النبوة إلى الخلافة فَجَّر بعض الخلافات بين علي بن أبى طالب ومعه بعض بنى هاشم وعدد من الصحابة من جهة ، وبين أبى بكر الصديق ومعه القطاع الأوسع من الأنصار والمهاجرين .ولكن سرعان ما اقترب الرجلان والفريقان وتعاونا على البر والتقوى ،بحيث توارت الخلافات ، وبرزت وحدة الأمة ، وزالت أسباب الخلاف والشقاق، لكى تندفع الدولة الإسلامية الناشئة إلى الأمام ، بعد أن تجاوزت الرجفة الهائلة التى ألمت بها يوم وفاة رسول الله، وقمعت فتنة الأنبياء الكذبة ، والمرتدين ومانعى الزكاة .

obeikandl.com